شعبان بين إقبال المنيبين وإعراض التائهين

التوحيد

رفقاً أهل السُنَّة بأهل السُنَّة!!



مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥١٢ - السنة الثالثة والأربعون - شعبان ١٤٣٥ هـ
الثمن جنيهان

الوقت والاستعداد لرمضان

السلام عليكم

عاجل .. من أجل هذا وغيره .. نتشرف بدعوتكم

لأننا نحبكم في الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان». وذكر منها: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله..» [البخاري: ٦٩٤١].

ولأننا وحضراتكم نتمنى على الله الجنة وما قرب إليها، ومن أهم ما يرجى من ورائه ذلك : الدعوة إلى الله، وقد ورد في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما بعثه إلى خيبر: «... فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم».

وإن من لوازم الدعوة الله التعاون على البر والتقوى، وقد قال الله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» [المائدة: ٢]، فهذا التعاون ثمرة من ثمرات الإيمان، والأخوة الإسلامية كذلك وهو طريق موصل إلى محبة الله ورضاه وجنته، وسبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

ومن أهم صور هذا التعاون: التناصح في الله: ففي السنة: عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مُسْلِم.

هذا، ومما يعين على كل ما سبق ما قاله أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء» [الإخوان لابن أبي الدنيا].

من أجل ما سبق وغيره كثير: نمد أيدينا إليكم راجين من الله أن نجد قبولا لديكم نرجوا حبكم في الله ثم تعاونكم معنا في الدعوة إلى الله والنصح له للنهوض بهذا المنبر الدعوي (مجلة التوحيد) باي وسيلة تناسبكم بدءًا من زيارتكم لنا- ونشرف باستضافتكم- ونهاية بتواصلكم معنا باي وسيلة من وسائل التواصل للنصح ، وجزاكم الله خيرا.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة «حساب رقم / ١٩١٥٩٠»

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي : q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت:٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

السنة الثالثة والأربعون / العدد: ٥١٢ - شعبان ١٤٣٥

في هذا العدد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



افتتاحية العدد

تحقيق المقام في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام



بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي خلق الكون بقدرته، وصرَّف الأمر فيه بحكمته، والصلاة والسلام على من علَّمه ربه وفضله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعدُ:

فلقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا النعمة ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد شهد له ربه بأنه بلَّغ البلاغ المبين، ولم يقبضه ربه إليه إلا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وقد ذكر ذلك عنه أبو الدرداء رضي الله عنه وعقب عليه بقوله: «صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم- تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء» [صحيح سنن ابن ماجه ج٦/١].

١- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم منامًا:

أما عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فلقد ورد فيها من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يغني عن بسط القول فيها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تسمَّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (البخاري:١١٠)

٢- رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة:

وأما عن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة فهو بيت القصيد في مقالتنا؛ وذلك لأنه مع هذا الوضوح التام والمحجة البيضاء التي تركنا عليها حبيبنا صلى الله عليه وسلم ، إلا أن فريقًا من الناس يزعم أنه يلتقي بالرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة، ويتلقى عنه!! وهذا مخالف لنصوص الوحي، والقائلون بذلك يعتمدون على حكايات باطلة، ويسوقونها بأسانيد واهية، وقد بنوا على هذا المعتقد الحضرات التي يقيمونها بين الحين والآخر، وسمَّوها بذلك لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضرها، وقد تنبَّه لذلك أئمة الإسلام من زمن، فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله يترجم لرجل من هؤلاء، ويبين ضلاله، ويحذِّر من ضلالاته، فيقول: «وزعم أنه يجتمع بالأنبياء كلهم في اليقظة، وأن الملائكة تخاطبه في اليقظة، وأنه عُرج به إلى السماوات، وكان يقول: أُعطي موسى مقام التكليم، وأعطي محمد صلى الله عليه وسلم مقام التكميل، وأنه هو أُعطي المقامين معًا، إلى غير ذلك، مما ذاع واشتهر، واشتدت الفتنة به». [لسان الميزان ٣٥٢/١].

وقد ترتب على ذلك ادعاء البعض رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، والأخذ عنه مباشرة وهم بهذا يضعون دينًا جديدًا بعيدًا عما تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تمكنوا من وراء ذلك أيضًا من إفساد عقائد المسلمين، وإضفاء الشرع على بدعهم وانحرافاتهم التي أدخلوها على الدين، ومن أشهر من وقع في ذلك ولبَّس على كثير من المسلمين «أحمد التيجاني» مؤسس الطريقة التيجانية، حيث زعم أنه التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقاءً حسيًا ماديًا، وأنه كلمه مشافهة، وتعلم منه صلاة الفاتح لما أغلق. [انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني ١٣٦/١].

ومن قبله قال أبو العباس المرسي: «لي أربعون سنة ما حُجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو حُجبت عنه طرفة عين ما عددت نفسي من جملة المسلمين». [ذكره صاحب جامع كرامات الأولياء ٥٢٠/١].

وهذا المعتقد الفاسد يفتح الباب على مصراعيه لهدم الشريعة؛ لأن بعضًا ممن يدَّعون ذلك عندما يحدثون مريديهم يحدثونهم على

أنهم يتلقون العلوم مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم استفادوا منه مباشرة دون النظر فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك هدم علم الإسناد، وأخذ العلم عن طريق الكشف والرؤى والإلهام على قاعدة: «حدثني قلبي عن ربي، وحدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لا منامًا» ، بل إنهم ابتدعوا شرائع وأذكارًا ما أنزل الله بها من سلطان، واحتجوا بأنهم تلقوا ذلك مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم يعيب علم الإسناد، ويقول عن أهل الحديث والعاملين بهم: أخذتم دينكم من ميت عن ميت، ونحن أخذناه من الله مباشرة.

وهذه الأقوال كلها باطلة يردها الشرع والعقل وذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول:

أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته لم يقل بها أحد من الصحابة، وهم خيار الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء جميعًا ثبتت تزكيتهم بيقين بشهادة القرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وكذلك لم يقل بها أحد من التابعين.

الوجه الثاني:

أن هناك أمورًا عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهُرهم ولم يظهر لهم، فإذا ظهر لغيرهم- كما يزعم القوم- لكان- وحاشاه صلى الله عليه وسلم- مقصّرًا في حق أصحابه ووزرائه.

ومن هذه الأمور المهمة التي كانت تستوجب - خروجه لو كان سيخرج - الخلاف الذي وقع بين الصحابة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بسبب الخلافة، وكذلك الخلاف الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم من جهة أخرى، والذي أدّى إلى وقوع معركة الجمل، وقد قُتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين.

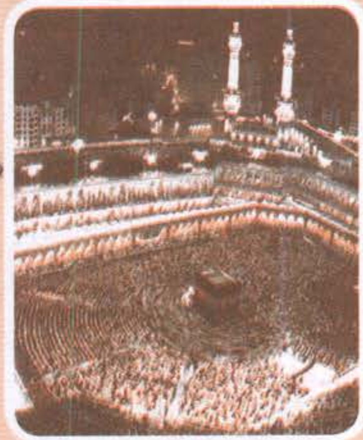
فلماذا لم يظهر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمهم، وهم في أمسّ الحاجة لذلك، وحتى تُحقَن دماء المسلمين؟!، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته لبعض المسائل الفقهية، فيقول كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهدًا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا». [البخاري: ٥٥٨٨، ومسلم: ٣٠٣٢].

فلو كان يظهر لأحد بعد موته صلى الله عليه وسلم لظهر لعمر الفاروق وأخبر بما كان يريده عمر رضي الله عنه، قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: «صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة، واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها-لو كانت مما يقع- ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر أصحابه العلماء، وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة، وبعضه إلى القتال، فلو كان صلى الله عليه وسلم يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته؛ لظهر لابنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر رضي الله عنه فيما روى من أن الأنبياء لا يورثون، وكذا للأقرب والأحب إليه من آله وأصحابه، ثم لمن بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمته دينهم عنهم، ولم يدَّع أحد منهم ذلك، وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته لم يقل بها أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أئمة الدين من العلماء الربانيين.



القرون وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية، فمن العلماء من جزم بأن من ذلك ما هو كذب مفترى، وأن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة، أو ما يسمى «بين النوم واليقظة» أنه رآه صلى الله عليه وسلم فخال أنه رآه حقيقة على قول الشاعر: «ومثلك من تخيل ثم خالا»، والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخيل ما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم في هذه الرؤية وبعض الرؤى المنامية، مما تختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم، وكون بعضه مخالفًا لنص كتاب الله وما ثبت من سنته صلى الله عليه وسلم ثبوتًا قطعيًا. [فتاوى رشيد رضا ٢٣٨٥/٦].



الوجه الثالث:

أن الثابت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم يحيا في قبره حياة فضل ورحمة، ونعيم دائم من الله تعالى، لا حياة تكليف، وفيها تعرض عليه صلاة من صلى عليه من أمته، ينقل ذلك له الملائكة، حين يرد الله تعالى روحه، كما وردت بذلك النصوص، وعليه فلا حاجة به لأن ينتقل إلى من هو دونه من الناس؛ إذ كان السلام يعرض عليه، ولو كان يخرج ويرتحل كما يزعمون، فلا ضرورة لأن يوكل الله تعالى له ملائكة تنقل إليه سلام الناس، وإلى جانب هذا أقول: إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره من أخبار الغيب التي لا يُقاس عليها، ولا يتعدى فيها ما صح منها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم بإجماع علماء المسلمين.

الوجه الرابع:

أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه لن يخرج من قبره ولن تنشق عنه الأرض إلى يوم القيامة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله». [البخاري: ٦٥١٧، ومسلم: ٢٣٧٣].

إن الثابت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم يحيا في قبره حياة فضل ورحمة، ونعيم دائم من الله تعالى، لا حياة تكليف.

فائدة: قال النووي رحمه الله في شرحه للحديث: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «فلا أدري أفاق قبلي»، فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض إن كان هذا اللفظ على ظاهره، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض بإطلاق، ويجوز أن يكون معناه أنه من الزمرة الذين هم أول من تنشق عنهم الأرض». [شرح النووي على مسلم: ١٣١/١٥].



وقال ابن حزم في «مراتب الإجماع»(ص١٧٦): (واتفقوا أن محمداً عليه السلام وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يُبْعثون مع جميع الناس).

الوجه الخامس:

أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح في حديث الدجال أنه إن خرج الدجال وهو حي فسيكفيهم بمفرده إقامة الحجة عليه، وإلا فعلى من أدرك

فتنة الدجال أن يُعدَّ الحجج اللازمة لإبطال مزاعمه، والاستعانة بالله تعالى، وهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يدرك خطورة هذه الفتنة لا يظهر لأحد فيها، ويؤكد هذا ما جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج، ولست فيكم؛ فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم». [مسلم: ٢٩٣٧].

ومن المعلوم أن فتنة الدجال أعظم فتنة على الأرض، فإن كان غائبًا عنا مع شدة الحاجة إليه فغيبته عن غيرها آكد وأعظم.

الوجه السادس:

أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بأمنية أن يرى إخوانه، وبيَّن أنهم قوم يأتون من بعده ولم يرهم، ثم عزى نفسه بلقائهم على الحوض يوم القيامة، وأنه سيعرفهم من بين الأمم بآثار الوضوء لا بغيرها، وقد أخرج ذلك البخاري ومسلم.

الوجه السابع:

يلزم من القول برؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة أن كل من رآه يُعد صحابيًا، وبناءً على ذلك فإن الصحبة لن تنقطع إلى يوم القيامة، وهذا باطل، وقد ذكر ابن حجر عن ابن أبي جمرة أن جماعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء، وعقب الحافظ على ذلك بقوله: «وهذا مشكل جدًا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعًا جمًا رأوه في المنام، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف». [فتح الباري ٣٨٥/١٢].

وهناك أوجه أخرى تدفع القول برؤية النبي صلى الله عليه وسلم- يقظة- ، وفيما ذكرت كفاية.

٣- شبهة والرد عليها مختصرا

استدل قوم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» على إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وللرد على هؤلاء نقول:

١- إن المواضع التي أخرجوا فيها هذا الحديث بلغت (٤٤) موضعاً ألفاظها مختلفة: «فقد رآني» أو «فقد رأى الحق» أو «فكأنما رآني في اليقظة» أو فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة» بالشك ، ومع كثرة هذه المواضع لم يرد في أي موضع لفظ «فسيراني في اليقظة» بالجزم إلا رواية واحدة من روايات ستة رواها البخاري نفسه عن أبي هريرة.

٢- إن كلا من مسلم (حديث رقم ٢٢٦٦)، وأبي داود (حديث رقم ٥٠٢٣)، وأحمد (٣٠٦/٥)، أخرجوا الحديث بإسناد البخاري الذي فيه اللفظ المذكور بلفظ الشك «فسيراني في اليقظة. أو لكأنما رآني في اليقظة» وهذا الشك من الراوي يدل على أن المحفوظ إنما هو لفظ «فكأنما رآني» أو «فقد رآني» لأن كلا منهما ورد في روايات كثيرة بالجزم وليس فيها شيء شك فيه الراوي، وعند الترجيح ينبغي تقديم رواية الجزم على رواية الشك.

٣- إن الحديث رواه اثنا عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يزيد، وإن ثمانية من أئمة الحديث المصنفين اهتموا بهذا الحديث فاخرجوه في كتبهم مما يؤكد اهتمامهم به وفهمهم لمدلوله، ومع ذلك لم يبوب له أحد منهم بقوله مثلاً: باب في إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بل ولا حتى البخاري الذي روى لفظة « فسيراني في اليقظة »، بل ولعل الحافظ ابن حجر رد على من ادعى هذا الفهم المخالف قائلا: (وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع- يعني الرؤية- بعيني الرأس حقيقة).

٤- لو فرضنا أن هذا اللفظ «فسيراني» هو المحفوظ فإن العلماء المحققين لم يحملوه على المعنى الذي حمله عليه هؤلاء المدعون.

قال النووي في شرحه (٢٦/١٥): (فيه أقوال: أحدها: أن يراد به أهل عصره، ومعناه: أن من رآه في النوم ولم يكن قد هاجر يوفقه الله للهجرة ورؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة عياناً.

وثانيها: أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة؛ لأنه يراه في الآخرة جميع أمته.

وثالثها: أنه يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه وحصول شفاعته ونحو ذلك).

ولمزيد من الفائدة انظر كتاب «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً» للشيخ صادق سليم صادق (ص٤٠٥- ٤٣٠) وكتاب «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للشيخ محمد أحمد لوح (٣٦/٢- ٥٢)، وكتاب «خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء» للصادق ابن محمد بن إبراهيم.

وفي الختام نقول: وجب على كل موحد ذابّ عن حمى التوحيد أن يرد القول برؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ما استطاع، لأنه باب يؤدي فتحه إلى فتح باب التشريع من جديد فيؤدي إلى ضلال عظيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



كلمة التحرير

شعبان بين إقبال المنيبين وإعراض التائهين

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله المعز المذل، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.. وبعدُ:

نستقبل شهورًا مباركة، فاليوم نستقبل شهر شعبان، وعما قريب سَنَسْتَقْبِلُ شهر رمضان، والناس في غفلة من الزمان، يرتكبون المعاصي والآثام، منهم من استباح القتل والدماء والدمار، ومنهم استباح الفتن والتحريض والغيبة، والكذب والتدليس، متناسين أن هناك ربًا عليمًا ببواطن الأمور، وبخبايا الصدور، وهمسات الغافلين، وكيد الكائدين، وأنهم ملاقو ربهم لا محالة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فالحياة ستنقضي كما تنقضي الشهور والأعوام، وعند اللقاء تُفتح الصحائف، يوم لا يشفع مالٌ لصاحبه، ولا إمارة تنفع أو تشفع لأميرها، إلا ما قدمت يداه وكتب في صحيفته، وهناك جنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهناك نار شاسعة واسعة بعيدٌ قعرها، مترامية أطرافها، الذين يدخلونها أعداد لا تُحصى، يكون ضرس الواحد منهم في النار مثل جبل أُحُد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» [صحيح البخاري ٦٦٦١، ومسلم ٢٨٤٨]. فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا.

الاعتبار بالشهور والأعوام

ما أسرع ما تنقضي الليالي والأيام!! وهكذا حال الدنيا سريعة الزوال، لا يدوم لها حال، وإن أهل البصيرة ممن لم تُعْمِهم الدنيا وزينتها، وزيفها وحقارتها، يأخذون من تعاقب الأزمان أعظم معتبر، ويستلهمون من انصرام الأيام أكبر مزدجر.

وإن الناظر بعين فاحصة، وبقلب حَي لما يقع على أرض مصر الغالية، يجعل الإنسان يتفطر قلبه من الألم، ويأمل في أن تَنْقَشِعَ الغمة، ونار الفتن التي اكتوى بها المصريون على مدار السنوات الأخيرة.

وإن المتفكر والمتدبر في استقبال تلك الشهور المباركة يجد أن تلك المناسبات العظيمة تهل علينا والأمة تحيط بها عوائق شتى، وأدواء عظمى، تعاني من تفرُّق وضعف، وتشتت وهوان، وفُرقة وانقسام، أمور مؤلمة، وأحوال مبكية، فهل آن الأوان لمراجعة الواقع المؤلم، والمسار الخاطئ الذي يكاد أن يؤدي بمصر وأهلها إلى نفق لا نهاية له، وطريق مظلم، لا يعلم مداه إلا رب العالمين؟! يقول رب العزة سبحانه وتعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» [الحديد:١٦].

فهل نعتبر بتلك الأشهر المباركة، في قدومها وسرعة انقضائها، ويذكرنا ذلك بسرعة انقضاء الآجال وزوال الرجال، وسرعة الرحيل، والعرض على رب عليم تكتب ملائكته بالليل وبالنهار دقائق الأعمال، والخبايا والأسرار، شهورٌ مباركة تذكرنا بكلام رب العزة سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأحقاف: ١٣- ١٤].

إنها بلاغ من الله عز وجل للأمة على شتَّى أنواعها، ودعوة لاغتنام حياة طيبة، وعيشة راضية، تحقق للمؤمنين سعادة أبدية، وعاقبة آمنة، إذا ما استقاموا على أمر الله جل وعلا.

إن المتفكر والمتدبر في استقبال الشهور المباركة يجد أن تلك المناسبات تهل علينا والأمة تعاني من التفرق والضعف والهوان والانقسام، فهل من معتبر يا أولي الأبصار؟!

ماذا أعددت يا من لا تعتبر؟!

ماذا أعددت يا من لا تعتبر بانقضاء الأيام والشهور، في ظل غَفْلَة من الزمن، وانشغال بدنيا أو إمارة، فالأولى فَانِيَة.. والثانية زائلة، لا محالة، والأمر كله لله يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، فما ظنك بعذاب دار أهون أهلها عذابًا من كان له نعلان يغلي منهما دماغه؟! ما يرى أحدًا أشدَّ منه عذابًا، وإنه لأهونهم!!

أما حال أهلها فشرُ حال، وهوانهم أعظم هوان، وعذابهم أشد عذاب، وما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشًا، واحترقت أكبادهم جوعًا، ثم انُصرف بهم إلى النار، فيُسقون من عين آنية، قد آذى حرها، واشتد نضجها، فلو رأيتهم وقد أُسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمةَ المسالك، مبهمة المهالك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، يُسحبون فيها على وجوههم تعلوهم النار من فوقهم والنار من تحتهم، «لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» [الأعراف:٤١]. لرأيت آلاماً وحسرات.

جثت الأمم على الرُكَب، وتبين للظالمين سوء المنقلب، وانطلق المكذبون إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب، وأحاطت بهم نار ذات لهب، سمعوا الزفير والجرجرة، وعاينوا التغيظ والزمجرة، ونادتهم الزبانية: «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» [النحل:٢٩]، فهل من ذلك تعتبرون، وإلى منهاج ربكم تعودون؟!

عنوان سعادة المرء ودلائل توفيقه

إن عنوان سعادة المرء ودلائل توفيقه: في إنابته لربه واستقامته على شرع الله ودينه في أيام حياته، وإقباله على الله تعالى بنية خالصة، وعبودية صادقة، وألا تشغله الحياة الدنيا، والسعي في تحصيل ما يؤمل منها عن الاستعداد للحياة الباقية، والتزود للدار الآخرة، فذلك سبيل الصالحين، ونهج المتقين ممن وصفهم الله عز وجل في محكم التنزيل بقوله: «لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» [النور:٣٧].

فإن هؤلاء الصالحين على الرغم من اشتغالهم بالبيع والشراء، وما يحتاجون من عَرَض الدنيا، إلا أن ذلك لم يكن حائلاً بينهم وبين استحضار عظمة الله جل وعلا، استحضارًا يَحْمِل على تقوى الله عز وجل، وخشيته على الدوام، والقيام بعبوديته حق القيام، وهكذا شأن المؤمن حقًا، يغتنم أيام العمر، وأوقات الحياة، بأجل الأعمال الصالحة، خاصة في

تلك الشهور المباركة التي تعظم فيها الأعمال؛ لعلمه أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا وسيلة للفوز بالحياة الباقية، والظفر بالسعادة الدائمة، فلا هي غاية تُبتغى، ولا نهاية تُرتجى، بل إنما هي عَرَض زائل، وظل آفل، يأكل منها البر والفاجر، ليس لها عند الله شأن ولا اعتبار، وإنما هي قنطرة إلى الجنة أو النار، يقول عز وجل: « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » [الحديد:٢٠].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء». [صحيح مسلم ٢٧٤٢].

شعبان وسنة النبي صلى الله عليه وسلم

وإذا كنا نتحدث عن استقبال الأشهر المباركة، وضرورة الاعتبار بمقدم تلك الشهور ورحيلها فحريّ بنا أن نُعرج على بعض فضائل هذا الشهر.

فضل الصيام في شعبان:

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان». [صحيح مسلم ١١٥٦].

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ». [سنن النسائي ٢٣٥٧ وحسنه الألباني].

بدع تقع في شعبان

أولا: تخصيص يوم النصف من شعبان بالصيام:

فقد ذكر ابن رجب رحمه الله في كتاب لطائف المعارف أن في سنن ابن ماجه (١٣٨٧) بإسناد ضعيف عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر».

وبناءً على ذلك فإن صيام يوم النصف من شعبان بخصوصه ليس بسنة؛ لأن الأحكام الشرعية لا تثبت بأخبار ضعيفة؛ ولأن الصوم عبادة، فإذا لم تثبت مشروعيته كان بدعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة»[سنن ابن ماجه ٤٢ وصححه الألباني].

ما أسرع ما تنقضي الليالي والأيام، وهكذا حال الدنيا سريعة الزوال لا يدوم لها حال، فلنأخذ من تعاقب الأزمان أعظم معتبر !!

ثانيًا: تخصيص ليلة النصف من شعبان بفضل ما ؟

وردت فيها أخبار قال عنها ابن رجب في (اللطائف): إنه قد اختُلف فيها، فضعفها الأكثرون، وصحَّح ابن حبان بعضها وخرَّجها في صحيحه، ومن أمثلتها حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: «أن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب: أي: قبيلة كلب». أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وذكر الترمذي أن البخاري ضعفه، ثم ذكر ابن رجب أحاديث بهذا المعنى. وذكر الشوكاني أن في حديث عائشة المذكور ضعفًا وانقطاعًا.

وذكر الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله وغفر له: أنه ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها.

ثالثًا: قيام ليلة النصف من شعبان.

وله ثلاث مراتب:

أ- أن يصلي فيها ما يصليه في غيرها، مثل أن يكون له عادة في قيام الليل، فيفعل في ليلة النصف ما يفعله في غيرها؛ فهذا أمر لا بأس فيه.

ب- أن يصلي في ليلة النصف من شعبان دون غيرها من الليالي؛ فهذا بدعة؛ لأنه لم يرد عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه أمر به، ولا فعله هو ولا أصحابه.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: إن ما ورد في فضل الصلاة في تلك الليلة؛ فكله موضوع، وما رخص فيه بعض أهل العلم من العمل بالخبر الضعيف في الفضائل، فإنه مشروط بشروط لا تتحقق في هذه المسألة، فإن من شروطه ألا يكون الضعف شديدًا، وهذا الخبر ضعفه شديد. والشرط الثاني: أن يكون واردًا فيما ثبت أصله، وذلك أنه إذا ثبت أصله، وورد فيه أحاديث ضعفها غير شديد، كان في ذلك تنشيط للنفس على العمل به، رجاءً للثواب المذكور، دون القطع به، وهو إن ثبت كان كسبًا للعامل، وإن لم يثبت لم يكن قد ضره شيء لثبوت أصل طلب الفعل، ومن المعلوم أن الأمر بالصلاة ليلة النصف من شعبان، لا يتحقق فيه هذا الشرط؛ إذ ليس لها أصل ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابن رجب وغيره.

جـ- أن يصلي في تلك الليلة صلوات ذات عدد معلوم، تُكرر بصفة معينة، فهذه المرتبة أشد ابتداعًا من المرتبة الثانية وأبعدُ عن السنة، والأحاديث الواردة فيها أحاديث موضوعة، قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص١٥)، وقد رويت صلاة هذه الليلة- أعني ليلة النصف من شعبان - على أنحاء مختلفة ، كلها باطلة وموضوعة.

إن مضي الليل والنهار يباعدان من الدنيا، ويقربان من الآخرة، فطوبى لعبد انتفع بعمره فاستقبل تلك الشهور المباركة لمحاسبة نفسه على ما مضى.

رابعًا: أنه اشتهر عند كثير من الناس أن ليلة النصف من شعبان يقدر فيها ما يكون في العام، وهذا ليس صحيحاً ، بل هي ليلة القدر، كما قال الله تعالى: «حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ » [الدخان: ١-٦]، وهذه الليلة التي أنزل فيها القرآن وهذا ليس بصحيح، بل هي ليلة القدر، كما قال الله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ » [القدر:١]، وهي في رمضان؛ لأن الله تعالى أنزل القرآن فيه، قال الله تعالى: «شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ » [البقرة:١٨٥]، فمن زعم أن ليلة النصف من شعبان يقدر فيها ما يكون في العام، فقد خالف ما دل عليه القرآن في هذه الآيات.

خامسًا: أن بعض الناس يصنعون أطعمة في يوم النصف من شعبان ويوزعونها على الفقراء ويسمونها عشيات الوالدين، وهذا أيضًا لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون تخصيص هذا اليوم بهذا العمل من البدع التي حذَّر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال فيها: «كل بدعة ضلالة» [سنن ابن ماجه ٤٢ وصححه الألباني].

وليعلم أن من ابتدع في دين الله ما ليس منه، فقد خالف ما جاء في كتاب الله سبحانه وصحيح سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إن مضي الليل والنهار يباعدان من الدنيا ويقربان من الآخرة، فطوبى لعبد انتفع بعمره فاستقبل هذه الشهور المباركة بمحاسبة نفسه على ما مضى، وتاب إلى الله عز وجل، وعزم على ألا يضيع ساعات عمره إلا في خير؛ لأنه يذكر دائمًا قول نبيه صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن خير الناس فقال: «من طال عمره وحسُن عمله» [سنن الترمذي ٢٣٢٩ وصححه الألباني].

وهو يلهج دائمًا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم الثابت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» [أخرجه مسلم ٢٧٢٠].

اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سورة الشورى

الحلقة الأولى

إعداد
د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

«حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ
حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ
ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي
رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ »

[الشوري: ١- ١٠].



بين يدي السورة:

سورة الشورى سورة مكية، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة، وبيان أصول الدين وأركان الإيمان، وقد ركّزت على الأصول الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث بعد الموت، لكن المحور الأساسي الذي تدور حوله آيات السورة الكريمة هو الوحي والنبوة، ولذلك افتتحت السورة بقوله تعالى: «كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، وخُتمت بقوله سبحانه: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

«نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وقد سميت السورة بهذا الاسم (الشورى) تنويهًا بأهمية مبدأ الشورى، وضرورة أخذ المسلمين أفرادًا وجماعات بمبدأ الشورى، فإن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستشير أصحابه، مع أن الوحي يأتيه من الله، فغيره أولى أن يستشير إخوانه وخلانه فيما يعرض له من أمور، وقد قيل: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

«حم (١) عسق»: خمسة أحرف من حروف الهجاء، استفتح الله تعالى بها السورة المباركة؛ لإثبات كون القرآن الكريم تنزيل رب العالمين، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم كما زعموا، بدليل عجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، مع كونه مؤلفا من هذه الحروف التي يتألف منها كلامهم.

الوحي والنبوة:

«كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»: أي مثل هذا الإيحاء الذي أوحاه إليك ربك في هذه السورة يوحي إليك غيره، كما أوحى إلى الأنبياء الذين سبقوك، وقد سماهم الله تعالى في قوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا» [النساء: ١٦٣].

فليس محمد إذًا أول مَن يُوحَى إليه حتى يكذّبوه أو يبدّعوه، ولذلك قال له ربه: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ» [الأحقاف: ٩].

«لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يقول سبحانه: الله العزيز الحكيم الذي أوحى إليك هو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويهب لمن يشاء، ويمنع من يشاء، «فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [يس: ٨٣]، «وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [الزخرف: ٨٥].

«وَهُوَ الْعَلِيُّ» الذي له العلو المطلق، علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، وعلو المكانة، وعلو المكان، وهو «الْعَظِيمُ» القدر والمكانة، ومن عظمته: «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ» أي يتشققن من عظمة الله وجلاله، ومهابته وخشيته، كما قال تعالى: «وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» [البقرة: ٧٤].

«وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» إجلالا وتعظيمًا، ومهابة وخشية، «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ» ممن تاب من المؤمنين، كما سبق في سورة غافر قوله تعالى: «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» [غافر: ٧].

«أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» تنبيهٌ على أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، كما قال تعالى: «وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» [آل عمران: ١٣٥].

الله هو الولي:

وهكذا ذكر الله تعالى في هذه الآيات من الأسماء الحسنى والصفات العلى ما يوجب ولايته وحده دون غيره، ومع ذلك فإن كثيرًا من الناس اتخذوا من دونه أولياء، والله يعظهم ويحذّرهم، ويبين أنه حفيظ عليهم، وسيجزيهم بأعمالهم، فيقول سبحانه: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ».

الأولياء جمع ولي، وهو من يتولى أمر من تولاه، فيحميه وينصره، ويسعى له في جلب النفع ودفع الضر.

والله ولي الذين آمنوا، والذين كفروا أولياؤهم الشياطين، كما قال تعالى: «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأعراف: ٣٠]، وقد عاب الله عليهم هذه الولاية، فقال: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» [الكهف: ٥٠]، وبيّن ضعفهم وعجزهم عن نصرة أوليائهم، وجلب النفع لهم، ودفع الضر عنهم، فقال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا» [الفرقان: ١ - ٣].

ومعنى «اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ» أي: رقيب وشهيد، يحصي عليهم أعمالهم ويحفظها، ثم يجزيهم بها، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا

يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ» [صحيح مسلم ٢٥٧٧].

ومعنى «وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ» أي لست موكلاً بحفظ أعمالهم، وليس عليك هداهم، إنما أنت منذر، وحسابهم على الله.

عالمية الرسالة:

«وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» لأنك عربي، وبعثت في قوم عرب، وسنة الله في الرسل أن يكون الرسول من قومه ليفهموا عنه، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [إبراهيم: ٤].

وليست عربيته صلى الله عليه وسلم وعربية مَن بُعث فيهم دليلاً على قصر رسالته عليهم، ولذلك قال الله تعالى: «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا»، وأم القرى مكة المكرمة، حفظها الله، فهي عاصمة العالم كله، وقد جرت العادة بقدوم الوفود على العاصمة، دون العكس، فيكون وجود الرسول صلى الله عليه وسلم في العاصمة سببا في انتشار دعوته، حيث تأتي الوفود فتسمع، ثم يرجعون إلى بلادهم فيبلغونهم ما سمعوا.

والمراد بقوله تعالى: «وَمَنْ حَوْلَهَا» العالم كله، سواء في ذلك القريب منها والبعيد، فرسالته صلى الله عليه وسلم عامة لكل الناس، كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان: ١]، وقال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» [الأعراف: ١٥٨]، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». [صحيح البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». [صحيح مسلم (١٣٥)].

ومن حكمة الوحي إنذار الناس يوم القيامة، كما قال تعالى: «وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ»، فيوم الجمع هو يوم القيامة، كما قال تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» [النساء: ٨٧]، وقال تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» [التغابن: ٩].

وهذه الآية كقوله تعالى: «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ» [غافر: ١٨]، وقال تعالى: «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» [مريم: ٣٩].

وقد كثر في القرآن الكريم التخويف من يوم القيامة:قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» [الحج: ١- ٢]، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ» [لقمان: ٣٣]، وقال تعالى: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» [المزمل: ١٧- ١٩].

فإذا جمع الله الأولين والآخرين حاسبهم بما قدموا وأخروا، ثم أمر بالذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى الجنة، وأمر بالذين كفروا وكذبوا إلى النار، وهذا معنى قوله تعالى: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ»، وهذه الآية كقوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ» [الروم: ١٤- ١٦]، وكقوله تعالى: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ» [الأعراف: ٢٩- ٣٠].

فأهل الهداية هم أهل الجنة، وأهل الضلالة هم أهل النار. «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» فكانوا جميعا في الدنيا مهتدين، وأدخلهم الجنة أجمعين، كما قال تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا» [يونس: ٩٩]، وقال تعالى: «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [السجدة: ١٣]، وقال في الآية التي معنا: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي

رَحْمَتِه»، فلذلك جعل منهم المهتدين والضالين، والمؤمنين والكافرين، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [التغابن: ٢].

وقوله تعالى: «وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» يعني بالظالمين الكافرين، وأنهم إذا جاءهم في الدنيا عذاب الله فلن يجدوا وليًا يتولاهم، ولا ناصرًا ينصرهم، وكذلك إذا أمر الله تعالى بهم إلى النار يوم القيامة.

وهذه الآية كقوله تعالى: «إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [الإنسان: ٢٩- ٣١].

ومرة ثانية ينكر الله تعالى على الظالمين اتخاذهم أولياء من دونه، فيقول سبحانه: «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» وهو استفهام إنكاري، ثم يعرفهم بالولي الحق، فيقول سبحانه: «فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، فالولاية الحق لله، الذي له ملك السموات والأرض، وهو يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يعجز عن شيء، ولا يعجزه شيء، ومن سواه من الأولياء لا يتصفون بشيء من هذه الصفات، فهم إذن ضعفاء عجزة، فلا يصلحون للولاية، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

المخرج من الخلاف:

«وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ»:

إن الله تعالى خلق الخلق، وفضل بعضهم على بعض في الفهم، كما فضل بعضهم على بعض في الرزق، وبسبب هذا التفاوت في الفهم يحدث الخلاف ولا بد، كما قال تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [هود: ١١٨- ١١٩].

والله تعالى يحب لعباده الاجتماع والائتلاف، ويكره لهم التفرق والاختلاف، ولذلك أرشدهم إلى ما يخرجهم من الخلاف، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة، فقال تعالى: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ»، وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

فالمخرج من الخلاف لا يتحقق إلا بالرجوع إلى كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر واجب، علقه الله تعالى على الإيمان؛ لأن المؤمن بالله لا يرضى بغير الله حكمًا، والذي يؤمن باليوم الآخر لا يؤثر حظوظ الدنيا وشهواتها على نعيم الجنة، ثم بيّن الله تعالى لعباده فضائل التحاكم إلى الكتاب والسنة، فقال: «ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أي: ذلك الرد إلى الله ورسوله خير لهم في الدنيا، وأحسن تأويلا في الآخرة.

التوكل والإنابة:

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول: «ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي»: أي ذلكم الذي أمركم أن تتحاكموا إليه هو ربي، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» في جلب النفع ودفع الضر، فأنا لا أرجو جلب النفع إلا من الله، ولا أرجو دفع الضر إلا من الله، فهو سبحانه القادر على ذلك، وغيره لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولى، قال تعالى: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الأنعام: ١٧]، وقال تعالى: «وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: «مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [فاطر: ٢].

«وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»: أي أرجع إليه وحده بالطاعات والقربات. والإنابة معناها الرجوع إليه سبحانه بالمحبة والخضوع والانقياد، والإعراض عما سواه.

قال العلماء: فرّق بين التوكل والإنابة، فأتى بلفظ الماضي في التوكل، والمضارع في الإنابة؛ لأن التوكل واحد لا يتعدد، والإنابة كثيرة متجددة، ففي كل ساعة يأتي العبد بعبادة، فهو دائرٌ بين الصلاة، والذكر، والقراءة، والاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك.

وقد كثر في القرآن الكريم الجمع بين التوكل والإنابة، ومن ذلك قوله تعالى: «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: «وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» [المزمل: ٨- ٩]، وعلمنا الله تعالى في الفاتحة أن نقول: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [الفاتحة: ٥].

والحمد لله رب العالمين.



أسئلة القراء عن الأحاديث

للمحدث الشيخ
أبو إسحاق الحويني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

نواصل الإجابة على أسئلة القراء عن الأحاديث فنقول:

١- سأل سائل عن حديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمنًا حقًا. قال: انظر ما تقول؛ فإن لكل قول حقيقة..».

قلت: هذا حديث منكر.

أخرجه محمد بن نصر في « تعظيم قدر الصلاة » (٣٦٢) قال: حدثنا محمد بن مقاتل. وعبد الله الماليني محمد بن جعفر بن محمود بن حسان في « أحاديثه » (ق ١/٣٥، ٢) عن عبد الجبار بن العلاء. والبيهقي في « الشعب » (١٠٥٩٠) عن أبي الصلت الهروي قالوا: ثنا يوسف بن عطية الصفار قال: سمعت ثابت البناني يذكر عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمنًا حقًا. قال: « انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة». فقال يا رسول الله: «عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني بعرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النهار كيف يتعاوون فيها. فقال: أبصرت! فالزم، عبد نوَّر الله الإيمان في قلبه. قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، قال: فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يومًا في الخيل وكان أول فارس استشهد وأول فارس ركب، فبلغ أمه فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: أخبرني عن ابني إن يكن في الجنة لم أبك عليه، وإن يك غير ذلك بكيت عليه ما عشت في الدنيا. قال يا أم الحارث إنها ليست جنة، ولكنها جنة من جنان، وإن الحارث في الفردوس الأعلى. قال: فرجعت وهي تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة.

وأخرجه البزار (٦٩٤٨) ــ البحر) قال: حدثنا أحمد بن محمد الليثي. والعقيلي في: « الضعفاء » (٥٥/٤) عن بكر بن خلف قالا: ثنا يوسف بن عطية الصفار بهذا الإسناد إلى قوله: « عبد نوَّر

الله قلبه « قال العقيلي: « ليس لهذا الحديث إسناد يثبت» يعني: لأوله أما آخره فهو ثابت كما حققته في « الفتاوى الحديثية» (٣٤٩) وعلة هذا الحديث يوسف الصفار هذا فإنه تالف.

وأخرجه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (٧٥/٢) والبيهقي في: «الشعب «(١٠٥٩١) والطبراني في الكبير(ج٣/رقم ٣٣٦٧) وعنه أبو نعيم في: «معرفة الصحابة»(٢٠٦٩) عن محمد بن العلاء وعبد بن حميد في: «المنتخب» (٤٤٥) قالا: حدثنا زيد بن الحباب ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال المدني عن محمد بن أبي الجهم عن حارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا حارثة كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًا فقال: « انظر ما تقول، إن لكل قول حقيقة « قال: «ألست قد عزفت الدنيا عن نفسي، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها يعني يصيحون. قال: يا حارثة عرفت فالزم. ثلاث مرات.

ليس معنى أن يقول المحدث على حديث ما: إنه منكر أن كل متن الحديث منكر، فقد يصح جزء منه كما في حديث حارثة.

وإسناده ضعيف جدًا، وابن لهيعة ضعيف، ومحمد بن أبي الجهم لا أعلم عن حاله شيئًا.

أخرجه أبو نعيم أيضًا (٢٠٧٠) قال: أخبرنا خيثمة بن سليمان إجازة ثنا محمد بن عيسى ابن حيان ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن غياث بن المسيب عن سليمان بن سعيد بن أبي بردة عن الربيع بن لوط عن الحارث بن مالك بهذا وسنده ساقط ومحمد بن الفضل قال: أحمد: حديثه حديث أهل الكذب.

وكذَّبه عمرو بن العلي الفلاس، وكذلك بن أبي شيبة والنسائي، وقال صالح جزره: يضع الحديث. وأخرجه ابن الأعرابي في « المعجم « (٢٠٦) والبيهقي في: « الشعب « (١٠٥٩٢) عن عبد الرزاق وهو في « المصنف « (٢٠١١٤) من طريق صالح بن مسمار وجعفر بن برقان معضلاً، وكذلك أخرجه ابن المبارك في « الزهد « (٣١٤) عن صالح بن مسمار وأخرجه بن أبي شيبة (٤٣/١١) قال: حدثنا ابن نمير ثنا مالك بن مغول عن زبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره معضلاً، وأخرجه ابن أبي شيبه أيضًا قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا أبو معشر عن محمد بن صالح الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عوف بن مالك فذكر مثله. وإسناده منقطع. فالأمر كما قال العقيلي: ليس يثبت لهذا المتن إسناد. والله أعلم.

تعليق:

أما اللفظ الثابت الذي ذكره فضيلة الشيخ الحويني كما حققه في الفتاوى الحديثية عدد ربيع أول ١٤٢٦هجرية بمجلة التوحيد: «عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر أصابه سهمٌ غَرب - فإن كان في الجنة صبرت وإن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: يا أم حارثة إنها جنانٌ في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى. وأخرجه أيضًا من حديث حميد عن أنس بمعناه « (الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤٧٠/٢) (أفراد البخاري)) (اللجنة العلمية بالمجلة).

٢- سأل سائل عن حديث: « لا تزال أمتي على الفطرة ما أسفروا بالفجر».

قلت: أخرجه البزار (٨٦٤٨ــ البحر) قال: حدثنا محمد بن المثنى. والطبراني في « الأوسط » (٣٦١٩) قال: حدثنا سعيد بن سيار الواسطي، قالا: ثنا عمرو بن عون، قال: نا حفص بن سليمان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا فذكره.

قال البزار: « وهذا الكلام لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روى عبد العزيز عن أبي سلمة غير هذا الحديث، وحفص لين الحديث، حدَّث بأحاديث مناكير، ولكن لما لم نحفظ هذا الحديث إلا من هذا الوجه ذكرناه عنه، وبيّنا علته.

وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عبد العزيز بن رفيع إلا حفص بن سليمان، تفرد به عمرو بن عون».

وأخرجه الدار قطني في «الأفراد» (٥٥٦٦ - أطرافه) من طريق عمرو بن عون بهذا الإسناد وقال: «تفرد به عمرو بن عون عن حفص بن سليمان المقرئ، عن عبد العزيز».

قلت: أما عمرو بن عون فثقة حافظ، والآفة من شيخه حفص بن سليمان صاحب القراءة المشهورة عن عاصم، فهو متروك.

والصحيح في هذا الباب هو حديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أصبحوا بالصبح، فإنه أعظم للأجر»، وفي لفظ: «أسفروا بالفجر....».

أخرجه أبو داود (٤٢٤)، والنسائي (٢٧٢/١)، وابن ماجه (٦٧٢)، والدارمي (١٢١٨، ١٢١٩)، وأحمد (٤٦٥/٣ و١٤٠/٤، ١٤٢)، والحميدي (٤٠٩) وأبو نعيم الفضل بن دكين في « كتاب الصلاة» (٣١٤) وصححه ابن حبان (١٤٨٩، ١٤٩١) من طريق محمد بن عجلان عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج بهذا.

وهذا إسناد جيد. وقد توبع ابن عجلان. تابعه محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة بهذا. أخرجه الترمذي (١٥٤) والدارمي (١٢١٧) وأحمد (٤٦٥/٣).

٣- وسأل سائل عن حديث: من علق في مسجد قنديلاً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُطفا ذلك القنديل، ومن بسط فيه حصيرًا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يتقطع ذلك الحصير، ومن أخرج منه قذاة كان له كفلان من الأجر».

إن حكم العلماء على الحديث لا علاقة له بالعاطفة، فلا يقال طالما هو خير فلا بأس به.

قلت: هذا حديث موضوع.

أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (١٠٨/٢) والسهمي في: « تاريخ جرجان » (ص ١٣١)، والرافعي في « أخبار قزوين » (١٧/٤)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٢/٦٣)، وابن الجوزي في « الواهيات » (٦٨٢) من طريق عاصم بن سليمان الكوزي ثنا برد بن سنان عن مكحول عن الوليد بن العباس عن معاذ بن جبل مرفوعًا. وهذا سند موضوع. وعاصم بن سليمان الكوزي ذكره ابن حبان، وقال: هو صاحب الحديث: «شرب الماء على الريق يعقد الشحم...»، ومن روى مثل هذا كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. قال الفلاس: كان عاصم بن سليمان يضع الحديث. وقال النسائي: متروك. وكذَّبه الدراقطني، ووقع في تاريخ جرجان: «ثور بن يزيد» بدل «برد بن سنان» . والحمد لله رب العالمين.

من سنن الصيام في شهر شعبان

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدَّثنا مُسلمُ ابنُ إبراهيم، حدَّثنا هشام، حدَّثنا يحيى بنُ أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة رضيَ الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال:

«لا يَتقدَّمنَّ أحدُكمْ رمضانَ بصَوْمِ يوْمٍ أو يوْمينِ، إلاَّ أنْ يكونَ رَجلٌ كانَ يصُومُ صَوْمَهُ، فليصُمْ ذلكَ اليوْمَ».

أولا: عزو الحديث إلى من خرّجه من الكتب الستة:

١- البخاري، كتاب الصيام، باب لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين(٣/ ٢٨) ح(١٨١٥).

٢- ومسلم (٢/٧٦٢) ح(١٠٨٢) كتاب الصيام، بَابُ لا تَقدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلا يَوْمَيْنِ.

٣- وأبو داود، (٢/٣٠٠) ح(٢٣٣٥)، كتاب الصيام، باب فيمن يصل شعبان برمضان.

٤- والترمذي،(٢/٦٢) ح(٦٨٤) كتاب الصيام، باب ما جاء: لا تقدموا الشهر بصومه.

٥- والنسائي، (٤/١٥٤) ح(٢١٩٠) كتاب الصيام، التسهيل في صيام يوم الشك.

٦- وابن ماجه،(١٦٥٠) كتاب الصيام، باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم إلا من صام صومًا فوافقه.

٧- وورد الحديث في كثير من كتب السنة غير الكتب الستة.

ثانيًا: رجال إسناد البخاري

١- مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: الأزدي الفراهيدي (نسبة إلى قبيلته) أبو عَمرو البصري، ثقة مأمون مكثر، عمي بآخرة.. وهو أكبر شيخ لأبي داود [تقريب التهذيب (ص: ٥٢٩)، دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة].

٢- هِشَامٌ: هو ابن أبي عبد الله سنبر أبو بكر البصري الدستوائي (كان يتجر في القماش الذي يجلب من دستوا، وهي بليدة من أعمال الأهواز)، ثقة ثبت، وقد رُمي بالقدر (التقريب (ص: ٥٧٣).

فائدة: كيف يكون ثقة ثبْتًا وقد رُمي بالقدر؟

الجواب: مذاهب أهل العلم في رد حديث أهل البدع أو قبوله محصورة في أربعة مذاهب:

أ- ترك حديثهم مطلقا.

ب- التفريق بحسب شدة البدعة وخفتها، وفي ذلك يقول ابن رجب: «البدع الغليظة كالتجهم يرد بها الرواية مطلقاً، والمتوسطة كالقدر إنما يُرد رواية الداعي إليها، والخفيفة كالإرجاء، (هل يقبل معها الرواية مطلقاً، أو يرد عن الداعية؟) على روايتين» (شرح علل الترمذي (١ / ٥٦).

ج- التفريق بين الداعي إلى بدعته، وغير الداعي، فيُرَد الأول، ويُقبل الثاني.

وهو منقول عن كثير من أهل الحديث (الكفاية

ص (٢٠٣ ــ ٢٠٥)، وفي معناه يقول نعيم بن حماد: سمعت ابن المبارك، وقيل له: تركت عمرو بن عبيد وتحدثت عن هشام الدستوائي وفلان، وهم كانوا في عداده؟ قال: «إن عمراً كان يدعو» أي: إلى البدعة. [الضعفاء، للعقيلي (٣ / ٢٧٧)].

د- عدم اعتبار البدعة جَرْحاً مسقطاً لحديث الراوي؛ لما تقوم عليه من التأويل، وإنما العبرة بالحفظ والإتقان والصدق، والسلامة من الفسق والكذب، وعلى هذا يتنزل مذهب من ذهب من كبار الأئمة (ومنهم البخاري) (انظر: الكفاية للخطيب) (ص: ٢٠٠- ٢٠٣)، (وانظر: تحرير علوم الحديث لعبدالله الجديع). فانظروا يا عباد الله إلى فضيلة الصدق، واعتبروا يا أولي الألباب.

٣- يَحْيَى بْنُ أَبي كَثِير: يحيى بن أبي كثير الطائي، ثقة ثبت، لكنه يَدلس ويُرسل (التقريب) (ص: ٥٩٦).

فائدة:

لماذا خرَّج البخاري ليحيى بن أبي كثير ١٣٦ رواية مع كونه مدلسًا؟

والجواب: ذلك لإمامته وقلة تدليسه بجنب ما روى، لذا كان ممن احتمل الأئمة تدليسه، فخرجوا له في الصحيح، وحملوا روايته على الاتصال، وإن لم يصرح بالسماع، وهو ما أصَّله الحافظ العلائي في جامع التحصيل، ولخَّصه الحافظ ابن حجر في (طبقات المدلسين ص ١٣)، (وينظر: روايات المدلسين في صحيح البخاري لعواد الخلف).

٤- أبو سَلَمَة: هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر. [(التقريب (ص: ٦٤٥)].

٥- أبو هُرَيْرَة: الصحابي الجليل، راوية الإسلام؛ عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه (وأبو هريرة كُنيته).

فائدة:

ما معنى رواه الجماعة الذي استخدمه ابن حجر مع كل رواة هذا الإسناد في التقريب، ويشار إليه بالرمز(ع)؟

يختلف المراد بهذا المصطلح باختلاف المصنِّفين في علم الحديث في تحديده عددا أو معدودا:

- فعند بعضهم يُطلق الجماعة على رواة الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومثاله كتاب (تقريب التهذيب) كما صرح بذلك الحافظ (التقريب ص٧٦).

- وعند بعضهم يطلق على نفس الرواة السابقين، وذكروا مالكًا ولم يذكروا ابن ماجة، مثل ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) في كتابه: جامع الأصول من أحاديث الرسول (١ / ٢٧، ٢٨) بإشراف عبد المجيد سليم، وحامد الفقي، رحمهم الله جميعًا.

- وعند آخرين يُطلق على سبعة من الرواة، وأضافوا الإمام أحمد لرواة الكتب الستة، ومثاله كتاب (المنتقى من أخبار المصطفى - صلى الله عليه وسلم ص(١/ ٣)، بتحقيق محمد حامد الفقي) لأبي البركات، مجد الدين عبد السلام بن تيمية.

وهذا يعني أنه من النظر إلى قصد مؤلفه، وتحديد المراد به لديه.

ويكفي لصحة الحديث أنه متفق عليه .

ثالثا: الشرح

- قوله: باب لاَ يُتَقَدَّمُ رَمَضَانُ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلاَ يَوْمَيْنِ: أي هذا (باب) يذكر فيه..... الخ.

- قوله: (لا يتقدَّمن) بنون التوكيد الثقيلة، ويجوز تخفيفها: لا يتقدم المكلف (رمضان) (بصوم يوم ولا يومين)، يعدّ منه بقصد الاحتياط له؛ فإن صومه مرتبط بالرؤية، فلا حاجة إلى التكلف. (إرشاد الساري للقسطلاني (٣/ ٣٥٩) بتصرف).

- قوله: « إلاَّ أن يكون رجل كان يصوم صومًا فليصم ذلك اليوم»، وهذا استثناء منقطع «معناه»، لكن إذا كان للصائم أيَّام معتادة يصومها آخر الشهر تطوعاً، أو كان نذراً أو قضاءً فصادف آخر شعبان، فلا مانع من صيامه إذن؛ لأن ذلك ليس من جنس الصيام المنهي عنه شرعاً. (منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٢١١).

- والمعنى العام: قال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان، قال الترمذي بعدما أخرجه: والعمل على هذا عند أهل العلم؛ فقد كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول

- اعتبر الإمام البخاري وكثير من كبار أئمة الحديث الكذب جَرْحاً مسقطاً لحديث الراوي؛ ولم يعتبر البدعة مثله لما تقوم عليه من التأويل، فانظروا يا عباد الله إلى فضيلة الصدق، واعتبروا يا أولي الألباب.

رمضان لمعنى رمضان اهـ (انظر: فتح الباري - ابن حجر (٤/ ١٢٨).

رابعا: ما يستفاد من الحديث

أولاً: مسألة فقهية وهي: النهي عن صيام آخر يومين من شعبان:

- دل هذا الحديث على النهي عن صيام آخر يوم من شعبان المسمى بيوم الشك مطلقاً، سواء صامه وحده، أو مع يوم قبله؛ لحديث الباب، ولقول عمار رضي الله عنه: «من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم» (الترمذي (٣/ ٧٠)، وقال حسن صحيح، وصححه الألباني).

لذا أخرج الطحاوي عن ابن عباس يقول: «إني لأَعْجَبُ من الذين يَصُومُون قبل رمضان، إنما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا رأيتم الهلال فصُومُوا، وإذا رأيتموه فأفطرُوا، فإن غُمَّ عليكم. فَعُدُّوا ثلاثين «مشكل الآثار» (ينظر: فيض الباري على صحيح البخاري (٣/ ٣٣٤) بتصرف).

لكن إن كانت هذه هي دلالة هذا الحديث، فهل هذا النهي حكم فقهي مطلق؟ أم أنه مقيّد بأحوال الصائم؟

والجواب: لا يمكن أن يُقال: إنه نهي مطلق بعد علمنا بورود أدلة أخرى تخالف هذا النهي، والتي منها:

١- الاستثناء في الحديث نفسه، فقوله: (إلا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ)، هذا الاستثناء يصرف أصل النهي عن التحريم إلى الكراهة.

٢- النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان أكثره أو كله، كما سيأتي بيانه.

وبالجمع بين هذه السنن (الأدلة) المبيحة وتلك الحاظرة، وإعمالها جميعًا (وهو أولى من إهمال أيّ منها) نقول:

- إذا تقدم رمضان بصيام على سبيل الاحتياط لرمضان، فهو المراد من الحديث، وهو نهي تحريم؛ لأن الحدود الشرعية مُحَدَّدة «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ»، فمن فعل هذا فقد خالف حدود الله.

- أن يكون ذلك من رجل اعتاد أن يصوم كمن صام شعبان كله كما ذكرت، أو رجل يصوم يومًا ويُفطر يومًا، أو يصوم الاثنين والخميس، أو رجل عليه نذر، والأمر في هذا واسع، والصيام لأجل هذا مباح؛ وذلك لما ورد من أدلة تدل على جواز الصوم، وللاستثناء الوارد في الحديث.

وخلاصة القول: (يختلف حكم صيام هذه الأيام بحسب حال الصائم ونيته) طالما ورد في ذلك سنة صحيحة، وهو ما أفاده شراح الحديث كما تقدم بيانه.

أما عن الحكمة من النهي عن الصيام في حديثنا ففيها أقوال عديدة، أختار منها ما أفاده الحافظ في الفتح، وذكره الصنعاني في سُبل السلام (١٠٤/٤) أن الشارع قد علّق الدخول في صوم رمضان برؤية الهلال، والمتقدم على الهلال احتياطًا لرمضان مخالف للشرع أمرًا ونهيًا، وقد حاول الخروج على هذا الحكم.

ونزيد على هذا أن من مقاصد الشارع أن يرى العبودية من العبد في اتباعه لشرعه، لا أن يرى منه غلوًا حتى ولو كان المقصد خيرًا، وهو ما قررته نصوص الشريعة، وتظاهرت عليه الأدلة المختلفة، كتلك التي تنهى عن الغلو، وغيرها التي تدعوا للاتباع، وغلق باب البدع والزيادة في الدين أو النقص منه.

فلو سُمح للناس أن يتقدموا رمضان بيوم أو يومين لأوشكوا أن يزيدوا في الشريعة، فالعلة الجامعة لكل هذه الحِكَم هي تحقيق العبودية بتحكيم شرعه، واتباع حكمه.

مسائل لها صلة بالحديث

١- فضل شعبان، والحكمة من إكثار النبي صلى الله عليه وسلم الصيام فيه:

اختلف العلماء فيها على أقوال عديدة، وكل له دليله؛ فمن قائل: تعويضًا عما فاته من صيام البيض طوال العام لسفره، ومن قائل: تشجيعًا لنسائه من أفطرت منهن في رمضان، ولما تقضي بعد حتى أتى عليها شعبان، ومن قائل: يستعد بهذا الصيام لصيام رمضان، وغير ذلك من الأقوال وأرجحها ما صرح به صلى الله عليه وسلم بنفسه حينما سأله أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:

- إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيـنَ أحَـدٌ إلا غلبَـهُ فعليكم هديا قاصـدًا، اقْتِصَـادٌ في سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنِ اجْتِهَادٍ في بِدْعَةٍ.

قلت: يا رسول الله، لِمَ أرك تصوم في شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحببت أن تُرفع أعمالي وأنا صائم»(صحيح سنن النسائي٢٢٢١) وكذا حسَّن إسناده عبدالقادر الأرناؤوط).

٢- ما هي السنة في صيام شعبان؟ هل يُصام بأكمله؟

والجواب: هناك أحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله كحديث أبي سلمة أن عائشة حدثته قالت: لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) يصوم شهراً أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كله. (الجمع بين الصحيحين) (٤/ ١١٤).

وأحاديث تدل على صيامه أغلب شعبان كحديث أبي سلمة عن عائشة قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان». [الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٤/ ١١٥) السالف ذكره في فضل شعبان].

وللتوفيق بين هذه الروايات نقول: اختلف العلماء في الجمع بين هذه الروايات على أقوال؛ أرجحها ما اختاره الترمذي عن ابن المبارك في السنن (١١٤/٣) فقال ما مفاده: يُحمل قول أم المؤمنين أنه صامه كله أنها أرادت أغلبه، وهو جائز في لغة العرب، وأن الأحاديث التي تفيد الكل والأحاديث التي تفيد الأغلب متفقة، وحاصل مذهب هؤلاء أن رواية عائشة عند مسلم «كان يصوم شعبان إلا قليلاً» مفسِّرة للروايات التي دلت على صيام النبي صلى الله عليه وسلم كله، واختاره الحافظ في الفتح (٧٣٢/٤)، ويؤيده رواية أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم: «ولا صام شهرًا قط منذ قدم المدينة غير رمضان».

ولا تعارض بين هذه الروايات وبين حديث الباب «لا تقدموا الشهر بيوم أو يومين...» الحديث؛ فالنهي في حديث الباب محمول على من تعمد صيام يوم أو يومين؛ ليحتاط لرمضان، أما من كان متعودًا صوم أيام من شعبان، فوافق صيامه هذين اليومين، فلا شيء في ذلك، وكما سبق بيانه.

سؤال مهم وارد:

إن كان حديث الباب والذي ينهى أن يتقدم رمضان بصيام يوم أو يومين (وعليه يفيد جواز الصوم قبل اليومين)، فكيف يوفق بينه وبين الروايات الصحيحة التي تنهى عن الصوم بعد منتصف شعبان عمومًا؟ أي: في فترة الجواز المفهومة من حديث الباب (من بعد المنتصف وإلى قبل انتهاء الشهر بيومين)؟

والجواب: لقد ورد في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، وغيرهم من كتب السنن ما يدل على النهي عن الصيام بعد منتصف شعبان ولفظ الترمذي: «إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا» (صحيح سنن الترمذي ٥٩٠).

وللتوفيق بين هذه الروايات وحديث الشهر نقول: من كان له ورد فقد أذن له فيه عمومًا سواء قبل اليومين أو خلالهما، وذلك مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «إلا أن يوافق صومًا كان يصومه أحدكم»، وهذا ما قرره الإمام النووي في شرحه على مسلم (١٩٤/٧) عندما قال: « فيه النهي عن استقبال رمضان بيوم أو بيومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصادف عادة أو يصله بما قبله فهو حرام، وهو الصحيح في مذهبنا لهذا الحديث، والحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره: «إذا انتصف شعبان فلا صيام...الحديث» فإن وصله بما قبله أو صادف عادة له جاز».

فائدة أختم بها :

هل الأجر على قدر المشقة أم على قدر الإخلاص والمتابعة؟

المشهور على الألسنة: أن الأجر على قدر المشقة، لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها، بل الأجر على قدر الإخلاص والمتابعة، فربما عمل رجل عملا أقل وقد وافق إخلاصًا وسُنَّة فهو من المفلحين، وربما عمل رجل عملاً أشق، وقد خالف ذلك فهو من الخاسرين، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٥/ ٢٧٢) قائلاً: «إنَّ الْمَشْرُوعَ الْمَأْمُورَ بِهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الِاقْتِصَادُ فِي الْعِبَادَةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِداً. وَقَالَ: «إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ فَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا». وَكِلَاهُمَا فِي الصَّحِيحِ. وَقَالَ أبي بْنُ كَعْبٍ: « اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ « انتهى ، فإذا توفر الإخلاص والمتابعة، وتردد العمل بين اليُسر والمشقة، فالسُنة اختيار الأيسر، أما إذا فرضت المشقة وليس للعبد سعي في استجلابها وتوفيرها، فمع إخلاصه ومتابعته وصبره على المشقة يكون الأجر أعظم، وعظمته على قدر المشقة.

والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

الحلقة ٢٣

٢٢٩- «إن لكل شيء توبة، إلا صاحب سوء الخُلق؛ فإنه لا يتوب من ذنب إلا وقع في شر منه».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٥٩/٨) من حديث عائشة مرفوعًا، وفيه عمرو بن جميع، قال يحيى بن معين: «كان كذابًا خبيثًا». أخرج قولَ ابن معين هذا ابنُ عدي في «الكامل» (١١١/٥) (١٢٧٩/٣١٢) وقال: النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٤٦): «متروك».

٢٣٠- «من قَبَّل غلامًا لشهوة لعنه الله، وإن صافحه لشهوة لم تُقبل منه صلاته، فإن عانقه لشهوة ضُرب بسياط من نار يوم القيامة، فإن فسق به أدخله الله النار».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٩٦/١) من حديث أبي سعيد مرفوعًا، وفيه أحمد بن محمد بن غالب بن مرداس الباهلي، يُعرف بغلام الخليل، قال ابن عدي: هذا حديث باطل بهذا الإسناد، وبغير هذا الإسناد، وغلام الخليل أحاديثه مناكير لا تُحصى.

٢٣١- «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا».

الحديث لا يصح: قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١٥٦/٢) أخرجه السلمي في «آداب الصحبة» وأبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أنس مرفوعًا، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي: كذاب. اهـ.

٢٣٢- «إنَّ من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٣٣٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٣/١)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (ح١٨١) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وفيه بقية مدلس، وقد عنعن، ويوسف بن أبي كثير مجهول، ونوح بن ذكوان قال ابن حبان في «المجروحين» (٤٧/٣): «منكر الحديث جدًا».

٢٣٣- «مَن صلى صلاة لم يدع فيها للمؤمنين والمؤمنات فصلاته خداجٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٤٧/٣) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وفيه نوح بن ذكوان عن الحسن بن أنس بن مالك، قال ابن عدي في «الكامل» (٤٤/٧) (١٩٧٦/٢٣): وفيه نوح بن ذكوان عن الحسن عن أنس بن مالك، قال ابن عدي في «الكامل» (٤٤/٧) (١٩٧٦/٢٣): «وهذه الأحاديث عن الحسن عن أنس غير محفوظة». وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٨٥/٨): «سألت أبي عن نوح بن ذكوان فقال: ليس بشيء مجهول». اهـ. قلت: وفي «المصباح المنير» ص١٦٥ الخداج: النقصان وخدج الصلاة نقصها، وهذه قرينة تبين نكارة المتن، ونوح منكر الحديث جدًا.

٢٣٤- «خلق الله الحور العين من الزعفران».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣٧/٨) (ح٧٨١٣) من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وهذا السند نقل السيوطي في «التدريب» (١٨١/١) عن الحاكم أنه من أوهى أسانيد الشاميين، وعبيد الله بن زحر يروي الموضوعات، وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات. كذا في «المجروحين» (٦٢/٢)، وعلي بن يزيد متروك والقاسم بن عبد الرحمن منكر الحديث، وقال أحمد: ما رئي البلاء إلا منه. كذا في «المجروحين» (٢١١/٢).

٢٣٥- «موت الغريب شهادة».

الحديث لا يصح: أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/٢٨٨/٨٥٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وفيه عبيد الله بن الفضل الخراساني أبو الرجاء قال العقيلي: منكر الحديث.

وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح١٦١٣)، والطبراني في «الكبير» (١١/٢٤٦) (ح١١٦٢٨) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه الهذيل بن الحكم، قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/٩٥): «منكر الحديث».

٢٣٦- «موت الغريب شهادة، إذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه وعن يساره فلم ير إلا غريبًا وذكر أهله وولده وتنفس، فله بكل نفس يتنفسه يمحو الله ألفي ألف سيئة، وتُكتب له ألفي ألف حسنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/٥٧) (ح١١٠٣٤) قال: حدثنا حجاج بن عمران السدوسي حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن عبد الله بن علاقة عن الحكم بن أبان عن وهب بن منبه عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه عمرو بن الحصين، قال أبو حاتم: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهٍ. وقال الدارقطني: متروك. نقله عنهم الذهبي في «الميزان» (٣/٢٥٢/٦٣٥١).

٢٣٧- «من أصاب مالاً من نهاوش [أي: مظالم، وإجحافات بالناس]، أذهبه الله في نهابر [أي: مهالك]».

الحديث لا يصح: أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/٢٧١) (ح٤٤١) قال: أخبرنا محمد بن علي بن إبراهيم الدقاق، أنبانا عبد الله بن محمد بن طالب البغدادي، حدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، حدثنا موسى بن زكريا، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة قال: حدثنا أبو سلمة الحمصي مرفوعًا، وفيه عمرو بن الحصين قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/١/٢٢٩): «سمع منه أبي وقال: تركت الرواية عنه ولم يحدثنا بحديثه وقال: هو ذاهب الحديث ليس بشيء أخرج أول شيء أحاديث مشبهة حسانًا، ثم أخرج بعد لابن علاثة أحاديث موضوعة، فأفسد علينا ما كتبنا عنه فتركنا حديثه، ثم قال ابن أبي حاتم وسئل أبو زرعة عنه عندما امتنع من التحديث عنه فقال: ليس هو في موضع يحدث عنه، هو واه الحديث».

قلت: هذه هي أصول مناهج الجرح والتعديل عند الأئمة التي يجب أن يرجع إليها أهل الصنعة، وهذا تأصيل لما نقله الإمام الذهبي رحمه الله عن الأئمة.

٢٣٨- قال الله عز وجل: «إنما خَلقت الخَلق ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم».

الحديث لا أصل له: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/١٤٧) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: «لم أقف له على أصل».

٢٣٩- «صالح المؤمنين: أبو بكر وعمر».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/٢٥٢) ح(١٠٤٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» [التحريم:٤]، فقال... الحديث. وفيه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه.

قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٢/٣٣٩): سمعت أبي يقول: عبد الرحيم بن زيد العمي تُرك حديثه، يحدّث عن أبيه بالطامات، ثم قال: سئل أبو زرعة عن عبد الرحيم بن زيد؟ فقال: «واهٍ، ضعيف الحديث». اهـ. وقال البخاري: «تركوه». وقال يحيى: «كذاب». كذا نقله الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢/٦٠٥/٥٠٣٠).

ملحوظة: أحاديث شعبان الواهية، لقد خرجناها وحققناها في الأعداد الماضية وعلى سبيل المثال لا الحصر: (ح: ١٢٨، ١٢٧، ١١٤، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠)، وفيها ليلة النصف من شعبان.



مكفرات الذنوب

منبر الحرمين

الحمد لله رب الأرض والسماوات، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، من تقرّب إليه- سبحانه- أفاضَ عليه الخيرات، ووقاه المُوبقات، أحمدُ ربي وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفِرُه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليُّ الكلمات، ومُجيب الدعوات، وأشهد أن نبيَّنا وسيّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه المُؤيّد بالمُعجزات، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه السابقين إلى الحسنات، الناهِين عن المُحرّمات.

إعداد/
الشيخ الدكتور
علي عبد الرحمن الحذيفي
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعُوه؛ فهي خيرُ أعمالكم، وأفضلُ زادِكم الذي يُحِل به ربُّكم عليكم مرضاته، ويقِيكم عقوباته.

خير الخطائين التوابون:

عباد الله: أقيموا وجوهَكم لمُكفِّرات الذنوب، وسَتر العيوب؛ فمنْ تقرّب إلى الله تقرّب الله إليه، ومن أعرض عن الله أعرضَ الله عنه، ولن يضُرّ إلا نفسَه، ولن يضُرّ الله شيئًا، قال النبي- صلى الله عليه وسلم «كل بني آدم خطّاء، وخيرُ الخطّائين التوابُون». رواه الترمذي من حديث أنسٍ- رضي الله عنه- .

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده؛ لو لم تُذنِبوا لذهبَ الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يُذنِبون فيستغفِرون الله فيغفِرُ لهم». رواه مسلم.

خلق اللهُ ابنَ آدم بهذه الصفات، فيُطيع وقد يعصِي، ويستقيمُ وقد يكبُو، ويتذكّرُ وينسَى، ويعدِلُ وقد يظلِم، وليس بمعصوم إلا الأنبياء- صلى الله وسلم عليهم أجمعين- .

فطر الله الخلق على الإسلام:

وقد منّ الله تعالى على كل مولود بخلقه على الفطرة- وهي الإسلام- ، فمن بقِيَ عليها وقبل ما جاءَت به الرُّسُل والأنبياء- عليهم الصلاة والسّلام- اهتدَى، وتقبّل الله منه الحسنات، وتجاوزَ له عن السيئات، ومن غيّرت فِطرتَه الشياطين من الإنس والجن، والهوى والشهوات، والبدع والشرك ضلّ وخابَ وخسِر، ولم تُقبل منه الحَسنات، ولم تُمحَ عنه السيئات.

عن عياض بن حمار- رضي الله عنه- قال: خطبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن ربي- عز وجل- أمرَني أن أُعلّمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلتُه عبادي حلال، وإني خلقتُ عبادي حُنفاء كلّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم، وحرّمَت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتهم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنزِل به سُلطانًا». رواه مسلم.

فمن غيّر فِطرتَه التي فطرَه الله عليها بالكُفر لا يقبلُ الله منه حَسنة، ولا يغفِرُ له سيئة إن مات على كُفره بلا توبة، قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) [البقرة: ١٦١، ١٦٢]، وقال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) [آل عمران: ٩١].

لكن من حفظَ فطرتَه التي فطرَه الله عليها، فاتّبَع الأنبياء- عليهمَ الصلاة والسلام- وآخرُهم سيّدُ



البشر محمدٌ صلى الله عليه وسلم، فذلك هو الذي يقبل الله منه الحسنات، ويُكفِّرُ عنه السيئات، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩].

المسلمُ هو الذي يتغمَّدُه الله برحمته، فيقبلُ طاعاته، ويمحُو بالتوبةِ والمكفِّرات سيِّئَاتِه، ويُدخِلُه في الآخرة جنّاته.

من مكفرات الذنوب والخطايا:

ومُكفِّراتُ الذنوب كثيرة، وأبوابُ الخيرات مُفتَّحة، وطُرُقُ البرِّ مُيسَّرة؛ فطُوبَى لمن سلكَها وعمِل صالحًا، وأولُ مُكفِّرات الذنوب: توحيد الله تعالى بإخلاص العبادات للربِّ- عز وجل- ، والابتعاد عن أنواع الشرك كلِّه، فذلك جماعُ كل خيرٍ في الدارَين، وأمانٌ من كل شرٍّ.

عن عُبادة بن الصامت- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، وأن عيسَى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقٌ، والنار حقٌ أدخلَه الله الجنةَ على ما كان من العمل». رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قال لي جبريل- عليه السلام- : بشِّر أمّتك: من مات لا يُشرِك بالله شيئًا دخلَ الجنةَ». رواه البخاري ومسلم.

وعن أم هانئ- رضي الله عنها- قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قولُ: لا إله إلا الله لا يترُك ذنبًا، ولا يُشبِهها عمل». رواه الحاكم وضعفه الألباني.

ومن مُكفِّرات الذنوب: التوبة إلى الله تعالى؛ فمن تابَ من أيِّ ذنبٍ تابَ الله عليه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تابَ قبل طلوع الشمسِ من مغربِها تاب الله عليه». رواه مسلم.

والله يفرحُ بتوبةِ عبده ويُعظمُ له بها أجرًا، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

والوضوءُ بإخلاص وإحسان ومُتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم منَ المكفِّرات، عن أبي هُريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا توضّأ العبدُ المسلمُ- أو المؤمن- فغسل وجهه خرجَ من وجهه كل خطيئة نظرَ إليها بعينِه مع الماء- أو مع آخر قَطر الماء- ، فإذا غسل يديه خرجَ من يدَيه كل خطيئة بطَشَتْها يداه مع الماء- أو مع آخر قطر الماء- ، فإذا غسل رِجليه خرجَت كلُّ خطيئة مشَتْها رِجلاه مع الماء- أو مع آخر قطر الماء- ، حتى يخرُج نقيًا من الذنوب». رواه مسلم والترمذي.

ومُكفِّراتُ الذنوب كثيرة، وأبوابُ الخيرات مُفتّحة، وطُرُق البرّ مُيسّرة؛ فطُوبَى لمن سلَكها وعمل صالحًا.

والصلاةُ من أعظم مُكفِّرات الذنوب، عن عُثمانَ- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يتوضَّأ رجلٌ فيُحسِنُ وضوءَه، ثم يُصلِّي الصلاة، إلا غُفر له ما بينَه وبين الصلاة التي تَليها». رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هُريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصلواتُ الخمس، والجُمعة إلى الجُمعة، ورمضانُ إلى رمضان مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنِبَت الكبائر». رواه مسلم والترمذي.

وعن عُثمان- رضي الله عنه- أنه توضأ ثم قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحوَ وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ نحوَ وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يُحدِّثُ فيهما نفسَه غُفِر له ما تقدّم من ذنبه». رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن مسعودٍ- رضي الله عنه- عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين الحجِّ والعُمرة؛ فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكيرُ خبَثَ الحديد». رواه النسائي والترمذي، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وطلبُ المغفرَة من الله تعالى من مُكفِّرات الذنوب، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أذنبَ عبدٌ ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال الله تعالى: أذنبَ عبدي ذنبًا، علمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنب، ويأخُذ بالذنب، ثم عاد فأذنبَ، فقال: ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال الله تعالى: أذنبَ عبدي ذنبًا، فعلمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنب، ويأخُذ بالذنب، ثم عاد فأذنبَ، فقال: ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تعالى: أذنبَ عبدي ذنبًا، فعلمَ أن له ربًّا يغفرُ الذنب ويأخُذ بالذنب، اعمَل ما شئتَ فقد غفرتُ لك». رواه البخاري ومسلم.

وعن بلال بن يسار بن زيد قال: حدّثني أبي عن جدّي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال ثلاث مرّات: أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوبُ إليه، غفر له وإن كان قد فرّ من الزّحف». رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني.

واستغفارُ المُسلم لأخيه بظهر الغيب أسرعُ إجابةً للداعِي والمدعُو له؛ فإنه إذا دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب قال الملَك: آمين، ولك بمثله.

وعن أبي سعيد الخُدري- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن إبليس قال لربّه- عز وجل- : وعزّتك وجلالك لا أبرحُ أغوي بني آدم ما دامَت الأرواحُ فيهم، فقال الله تعالى: فبعزّتي وجلالي لا أبرحُ أغفرُ لهم ما استغفَروني». رواه أحمد، وأبو يعلى الموصلي، والحاكم، وقال: «صحيحُ الإسناد».

ومن المُكفِرات: أنواعُ الذكر لله تعالى، وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سُبحان الله وبحمده مائة مرّة، حُطّت خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر». رواه مسلم.

والصدقةُ من المُكفّرات، عن مُعاذ- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «والصدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النارَ». رواه الترمذي.

ومن المُكفّرات: الإحسانُ إلى الأهل والبنات، قال صلى الله عليه وسلم: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي». رواه الترمذي من حديث عائشة.

وعن عائشة- رضي الله عنها وعن أبيها- قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسنَ إليهنّ، كُنّ له سترًا من النار». رواه البخاري ومسلم. ومثلُهنّ الأخوات.

والإحسانُ إلى الخلق يُعظمُ الله به الأجور، ويدفعُ به الشرور.

ومن المُكفِرات: الاستكثارُ من الحسنات بعد السيّئات، وحُسن الخُلق، عن مُعاذ- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اتّق الله حيثُما كنت، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالق الناسَ بخُلُق حسنٍ». رواه الترمذي.

واحرص- أيها المُسلم- على المُبادرة على فعل الحسنة التي تتيسّرُ لك، ولا تحقرنّ من الخير شيئًا، فإنك لا تدري فلعلّ هذه الحسنة اليسيرة هي التي تسعَدُ بها؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينَما رجُلٌ يمشي بطريق، وجدَ غُصنَ شوك على الطريق فأخّره فشكرَ

احرص- أيها المسلم- على المُبادرة على فعل الحسنة التي تتيسّرُ لك، ولا تحقرنّ من الخير شيئًا، فإنك لا تدري فلعلَّ هذه الحسنة اليسيرة هي التي تسعَدُ بها.

الله له، فغفرَ له».

وعن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدّ عليه العطشُ، فوجدَ بئرًا فنزل فيها فشرِبَ، ثم خرجَ، فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكل الثَّرَى من العطشِ، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطش مثلَ الذي كان نَزَل بي، فنزلَ البئر فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمسكَه بفِيه، ثم رقِيَ فسقَى الكلبَ، فشكرَ الله له فغفرَ له». فقالوا: يا رسول الله: إن لنا في البهائم أجرًا؟! فقال: «في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ». رواه البخاري ومسلم.

ومن المُكفِّرات: الصلاةُ والسلام على سيِّد البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

عن أنس- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشرَ صلوات، وحطّ عنه بها عشرَ سيئات، ورفعَه الله بها عشرَ درجات». رواه أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد».

ومن مُكفِّرات الذنوب: المصائب التي تنزلُ بالمُسلم إذا صبرَ عليها واحتسَبَ ولم يتسخَّط. عن أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يُصيبُ المؤمنَ من وصَب ولا نصَب ولا غمٍّ ولا همٍّ ولا حُزن، حتى الشوكةَ يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه». رواه البخاري ومسلم.

ضرورة عدم الاستهانة بصغائر الذنوب:

عباد الله: وكما أن مُكفِّرات الذنوب كثيرة، فالأخطارُ عظيمة، والذنوبُ لا يُستهانُ بها، سواءٌ أكانت صغيرةً أم كبيرةً؛ فإن لها من الله طالبًا وكاتبًا، والمُسلمُ يجبُ عليه أن يكونَ بين الخوفِ والرَّجاء، فإن الأمنَ من مكرِ الله علامةُ الخذلان والخُسران، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

والقُنوطُ من رحمة الله ضلالٌ مُبينٌ، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقد تكونُ المعصيةُ التي صغُرَت في عينَيك سببًا في شقاوةٍ أبديّة، عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلَت امرأةٌ النارَ في هرّةٍ ربطَتها فلم تُطعمها ولم تدَعها تأكلُ من خشَاشِ الأرض». رواه البخاري ومسلم.

وكما أن مُكفِّرات الذنوب كثيرة، فالأخطارُ عظيمة، والذنوبُ لا يُستهانُ بها، سواءٌ أكانت صغيرةً أم كبيرةً؛ فإن لها من الله طالبًا وكاتبًا، والمُسلمُ يجبُ عليه أن يكونَ بين الخوفِ والرَّجاء، فإن الأمنَ من مكرِ الله علامةُ الخذلان والخُسران.

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: كان على ثَقَل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يُقال له: كركرة- يعني: على متاعه-، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هو في النار». فذهبوا ينظرون إليه، فوجَدوا عليه عباءةً قد غلّها. رواه البخاري.

وفي غزوة خيبَر أن نفرًا من الصحابة مرُّوا على رجُلٍ فقالوا: فُلانٌ شهيدٌ. فقال صلى الله عليه وسلم: «كلا، إني رأيتُه في النار في بُردة غلّها- أو عباءةٍ-». رواه مسلم من حديث عُمر- رضي الله عنه-.

وفي الحديث: «إن الرجُل ليتكلّمُ بالكلمة من رضوان الله لا يظنُّ أن تبلغَ ما بلغَت يرفعُه الله بها درجات، وإن الرجُل ليتكلّم بالكلمة من سخَط الله لا يُلقي لها بالاً يهوِي بها في النار أبعدَ مما بين المشرِق والمغرب».

وأخطرُ شيءٍ على الإنسان: الظلمُ والعُدوان على الناس، أو منعُهم حقوقهم، فشرُّ ما في الإنسان هو البُخل بالخير، وأذيّةُ الناس بالشرور.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم وأذِلَّ الكفرَ والكافرين يا رب العالمين.

الوقت والاستعداد لرمضان

أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

ونحن في شعبان نستعد لرمضان، وهذا من هدي نبينا عليه الصلاة والسلام، فتلك أوقات يجب اغتنامها وفرص يتحتم علينا اقتناصها، فالخير مجموع، والدعاء مرفوع والأمل في الله دائم غير مقطوع أن يمد في أعمارنا لندرك رمضان، من أجل ذلك كانت هذه الكلمات.

إن الوقت هو رأس مال العبد في هذه الدنيا، وهو أغلى من الذهب؛ لأنه أعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان، وهو عند الأذكياء أغلى شيء في الوجود، وعند الجهلاء أرخص ما يكون.

ومما يبين قيمة الوقت وأهميته ساعة الاحتضار التي يتمنى العبد فيها دقائق ليتزود فيها بالتوبة والعمل الصالح فيقول: «يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ» [الزمر:٥٦]، ويقول: «رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» [المنافقون:١٠]، وعند دخول أهل النار فيها يصرخون قائلين: «رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ» [المؤمنون:١٠٧]، ذلك لأنهم ضيعوا أوقاتهم في غير طاعة رب العالمين، فلا أسف عليهم ولا ندم، فالعاقل ليس عنده وقت يضيعه؛ لأن اللحظة التي تمر عليه لا تعود إلى يوم القيامة، وفي هذا يقول الحسن البصري رضي الله عنه: يا ابن آدم، إنما أنت أيام؛ كلما ذهب يوم ذهب بعضك. فالإنسان ليس جسدًا ولا مالاً إنما هو وقت قصير بالأيام لا بالسنين، يقول الله سبحانه: «قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ (١١٣) قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» [المؤمنون: ١١٢- ١١٤].

وقال الحسن أيضًا: «رأيت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه»؛ ذلك لأن الوقت إذا فات لم يعد، أما الدرهم والدينار فيذهب ويعود.

يقول الوزير ابن هبيرة شيخ ابن الجوزي:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

وما من يوم ينشق فجره إلا ينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، تزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة. [موقوفا على الحسن البصري، رحمه الله].

> **الوقت هو رأس مال العبد في هذه الدنيا، وهو أغلى من الذهب؛ لأنه أعظم نعمة أنعمها الله على الإنسان، وهو عند الأذكياء أغلى شيء في الوجود، وعند الجهلاء أرخص ما يكون.**

من علامات محبة الله للعبد أن يجعله في شغل يفيد ويعود عليه بخيري الدنيا والآخرة، فالعاقل من يقدر نعمة الوقت ويجتهد في شكرها لأن أنفاسه معدودة ودقائقه محسوبة.

وفي الحديث: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النّاس: الصحة والفراغ» رواه البخاري.

فالصحة قد يعقبها مرض، والفراغ قد يعقبه شغل وعمل، فاغتنم حال الصحة والفراغ قبل الحسرة عليهما.

وللوقت سمات منها أنه:

١- أبي الجانب.

٢- بطيء الرجوع.

٣- سريع الانقضاء.

فالعَبْرة على الوقت الذي فات عبرة قاتلة، فإن الوقت سريع الانقضاء، أبي الجانب بطيء الرجوع، فمن فاته وقت لا يمكن استدراكه لا ينشغل به، إنما ينشغل بما هو آت؛ لأن الوقت التالي له واجبات غير الوقت الفائت. [الوقت ص١٣ للبيلاوي].

ولذا قال الصديق رضي الله عنه: «إن لله حقًا بالنهار لا يقبله بالليل، وله حقٌ بالليل لا يقبله بالنهار». وقال عمر رضي الله عنه: «إني لأكره أن أجد أحدكم سبهللا، لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة».

فالذي يضيع الوقت إنما يضيع عمره ونفسه، فإضاعة الوقت من علامات المقت؛ ذلك لأن من علامات محبة الله للعبد أن يجعله في شغل يفيد ويعود عليه بخيري الدنيا والآخرة.

فالعاقل من يقدر نعمة الوقت ويجتهد في شكرها لأن أنفاسه معدودة ودقائقه محسوبة، يقول الله سبحانه: « فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا » [مريم:٨٤]، ويقول جل شأنه: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» [النازعات:٤٦]، ويقول عز وجل: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ» [الروم:٥٥]، ولشرف الوقت وأهميته أقسم رب العالمين في غير آية في كتابه سبحانه فقال: «وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» [الضحى:٢]، وقال: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى» [الليل:٢]، وقال: «وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ» [الفجر:٢]، وقال: «وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ» [العصر:٢]، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدم عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن عمله ماذا صنع به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه» [أخرجه الترمذي (٦١٢/٤، رقم ٢٤١٧) وقال: حسن صحيح، وحسنه الألباني].

فالمتأمل في الحديث يجد أن اثنين منهما يتعلقان بالوقت العمر والشباب؛ ذلك لأن الشباب هو الوسط بين ضعف الطفولة وضعف الكهولة، وسن العمل وطلب العلوم، وهو ضيف عابر، يعقبه ضعف وشيبة؛ لذا قالت حفصة بنت سيرين: «يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب». [الوقت للبيلاوي ص٢١].

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم، وكذا كما في أصحاب موسى عليه السلام، فضلاً عن أصحاب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم في الأثر: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» [أخرجه الحاكم (٣٤١/٤، رقم ٧٨٤٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً» [صحيح البخاري ٦٤١٩].



كيفية اغتنام الوقت:

فإذا ما سألت أخي كيف أستثمر الوقت؟

الجواب: إن وسائل استثمار الوقت بالنسبة للمسلم عديدة كلها تدخل في الباقيات الصالحات التي تقرب العبد من ربه سبحانه، والتي قال رب العالمين عنها: «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» [الكهف:٤٦]، والتي منها:

أولاً: طلب العلم الشرعي، وذلك العلم الذي يزيد المرء خشية وخوفًا، قال سبحانه: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» [فاطر:٢٨]، وهو من سبيل الخير وفي تركه الشر كله، يقول صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» رواه البخاري.

وهو السبيل إلى الجنة، يقول صلى الله عليه وسلم: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة». [رواه مسلم ٢٦٩٩].

والناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم للطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاجون إليه مرة أو مرتين، أما العلم فيحتاجون إليه بعدد أنفاسهم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: «أرفع الناس منزلة عند الله هم العلماء؛ ذلك لأنهم يعرّفون الناس بخالقهم، فهم ورثة الأنبياء الذين اصطفاهم الله بأشرف مقصود وأسمى غاية».



٢- قراءة القرآن وحفظه والتدبر في آياته، يقول الله سبحانه: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» [الإسراء:٩]، قال الحافظ ابن كثير: «يمدح الله كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد وهو القرآن، فإنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل». [ابن كثير: ٢٦/٣].

إضاعة الوقت من علامات المقت؛ ذلك لأن من علامات محبة الله للعبد أن يجعله في شغل يفيد ويعود عليه بخيري الدنيا والآخرة. فالعاقل من يقدر نعمة الوقت ويجتهد في شكرها لأن أنفاسه معدودة ودقائقه محسوبة.

٣- الصلاة وعمارة المساجد:

ذلك لأن عُمار المساجد هم المؤمنون، يقول الله سبحانه: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» [التوبة:١٨].

وعمارة المساجد تكون بالصلاة فيها، ومدارسة العلوم الشرعية، والذكر والدعاء، وكل ما من شأنه حياة القلوب والتقرب من رب العالمين.

٤- الدعوة إلى الله:

التي هي وظيفة الأنبياء والرسل الذين هم سفراء الله إلى خلقه، يقول الله سبحانه وتعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» [فصلت:٣٣].

والدعوة إلى الله من أشرف الوظائف وأوضح المقامات، يقول سبحانه: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» [يوسف:١٠٨].

والدعوة إلى الله تحتاج إلى جهد وصبر ومصابرة، فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتشرون في الآفاق يدعون الناس إلى ربهم، فبلال رضي الله عنه يلازم دمشق، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يركض في القسطنطينية، وعقبة بن عامر رضي الله عنه يلازم مصر، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يصل إلى أذربيجان في خلافة عثمان رضي الله عنه. ذلك لأن أعظم وسيلة للفوز في الحياة والأوقات أن يسخر العبد نفسه لدعوة العباد لخالقهم ولما فيه نجاتهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة ، والله أسأل أن يبلغنا رمضان وأن يرزقنا وإياكم حسن القصد والعمل ، والحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد.

باب الفقه

أحكام الصلاة

صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

قراءة القرآن بعد الفاتحة

الحلقة السادسة

د. حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فما يزال الحديث متصلاً عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في النوافل؛ لنستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ونكمل في هذا العدد بعض الأحكام العامة المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الفريضة بأدلتها التفصيلية.

هل يجوز تَطويل الْقراءة في الرَّكْعَة الأُولى عَلى الثَّانِيَة في ركعات الصلاة؟

يُسَنُّ تَطْوِيل الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى عَلَى الثَّانِيَةِ، وتكون الركعتان الثالثة والرابعة دون الثانية، فِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ- الْمَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ -صاحب أبي حنيفة- وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا تُسَنُّ إِطَالَةُ الرَّكْعَةِ الأُولَى عَلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ فَقَطْ دُونَ بَقِيَّةِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، فَلاَ تُسَنُّ إِطَالَتُهَا. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/٩١).

قال زين الدين ابن نجيم الحنفي: وَاسْتَدَلَّ لِلْمَذْهَبِ بِحَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقْرَأُ في صَلَاةِ الظُّهْرِ في الْأُولَيَيْنِ في كل رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً، وفي الْعَصْرِ في الْأُولَيَيْنِ في كل رَكْعَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً، فإنه نَصٌّ ظَاهِرٌ في الْمُسَاوَاةِ في الْقِرَاءَةِ بخلاف حديث أبي قَتَادَةَ، فإنه يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ التَّطْوِيلُ فيه نَاشِئًا من جُمْلَةِ الثَّنَاءِ وَالتَّعَوُّذِ وَالتَّسْمِيَةِ، وَقِرَاءَةِ ما دُونَ الثَّلَاثِ فَيُحْمَلُ عليه جَمْعًا بين الْمُتَعَارِضَيْنِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ. (البحر الرائق شرح كنز الدقائق ١/٣٦١).

قال علاء الدين الكاساني: وَلَهُمَا - أي أبو حنيفة وأبو يوسف- ما رُوِيَ عن النبي أَنَّهُ كان يَقْرَأُ في الْجُمُعَةِ في الركعة الأُولى سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وفي الثَّانِيَةِ سُورَةَ الْمُنَافِقُونَ، وَهُمَا في الْآيِ مُسْتَوِيَتَانِ، وكان يَقْرَأُ في الْأُولَى سُورَةَ الْأَعْلَى وفي الثَّانِيَةِ الْغَاشِيَةَ، وَهُمَا مُسْتَوِيَتَانِ، وَلِأَنَّهُمَا مُسْتَوِيَتَانِ في اسْتِحْقَاقِ الْقِرَاءَةِ، فَلَا تَفْضُلُ إِحْدَاهُمَا على الْأُخْرَى إلَّا لِدَاعٍ، وقد وُجِدَ الدَّاعِي في الْفَجْرِ وهو الْحَاجَةُ إلَى الْإِعَانَةِ على إدْرَاكِ الْجَمَاعَةِ لِكَوْنِ الْوَقْتِ وَقْتَ نَوْمٍ وَغَفْلَةٍ، فَكَانَ التَّفْضِيلُ من بَابِ النَّظَرِ وَلَا دَاعِيَ له في سَائِرِ الصَّلَوَاتِ لِكَوْنِ الْوَقْتِ وَقْتَ يَقَظَةٍ، فَالتَّخَلُّفُ عن الْجَمَاعَةِ يَكُونُ تَقْصِيرًا، وَالْمُقَصِّرُ لا يَسْتَحِقُّ النَّظَرَ. (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١/٢٠٦).

قال زين الدين ابن نجيم: وَحَيْثُ ظَهَرَ قُوَّةُ دَلِيلِهِمَا كان الْفَتْوَى على قَوْلِهِمَا فما في مِعْرَاجِ الدِّرَايَةِ من أَنَّ الْفَتْوَى على قَوْلِ مُحَمَّدٍ ضَعِيفٌ. (البحر الرائق شرح كنز الدقائق ١/٣٦٢).

واحتج الجمهور بحديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: «كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يقرأ في الركعتين الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين، يطوِّل في الأولى ويقصِّر في الثانية، ويُسمع الآية أحياناً، وكان يقرأ في العصر بفاتحة الكتاب وسورتين، وكان يطوِّل في الركعة الأولى من صلاة الصبح ويقصِّر في الثانية» رواه البخاري ومسلم.

وقد روى أبو داود تعقيب أبي قتادة على روايته هذه بقوله: «فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الأولى».

قال ابن حجر: قال الشيخ تقي الدين: كان السبب في ذلك أن النشاط في الأولى يكون أكثر، فناسب التخفيف في الثانية حذرًا من الملل. وعن عطاء بن أبي رباح قال: إني لأحب أن يطول الإمام الركعة الأولى من كل صلاة حتى يكثر الناس. [فتح الباري بشرح البخاري ٢/٢٢٤].

ولأنَّ في ذلك مراعاة للمأمومِ الدَّاخل بعدَ إقامةِ الصَّلاة. ودليل ذلك حديث أبي سَعيد الخُدْري؛ قال: لَقَدْ كَانَتْ صَلاَةُ الظُّهْرِ تُقَامُ، فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَتَوَضأ، ثُمَّ يَأتِي وَرَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي الرَّكعةِ الأولى، ممَّا يُطوِلُهَا.. فإنَّ المقصودَ بهذا أن يدركَ النَّاسُ الركعةَ الأولى. (الشرح الممتع محمد بن صالح بن عثيمين ٤/١٩٨ بتصرف).

وقد اختلف العلماء في الإجابة عن التعارض الظاهر بين حديث أبي سعيد وحديث أبي قتادة: فمنهم من سلك مسلك الترجيح، فرجَّح حديث أبي قتادة على حديث أبي سعيد لأمرين:

الأول: أنه متفق عليه، وحديث أبي سعيد في مسلم فقط.

الثاني: أن حديث أبي قتادة جاء بصيغة الجزم، وحديث أبي سعيد قال: (حزرنا قيامه)، وفرق بين الجزم بالشيء وبين حزره وتقديره، على أنه قد يقال: إن التقدير بقراءة الآيات تقدير زمني، لا يلزم منه الفعل.

وسلك آخرون مسلك الجمع، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل هذا أحياناً، ويفعل هذا أحياناً، وهذا وجيه جداً لأمرين:

القاعدة في الأصول: أنه متى أمكن الجمع بين الدليلين فهو أولى من الترجيح؛ لأن الجمع عمل بكلا الدليلين، أما الترجيح ففيه ترك لأحدهما.

الأول: أن القاعدة في الأصول أنه متى أمكن الجمع بين الدليلين فهو أولى من الترجيح؛ لأن الجمع عمل بكلا الدليلين، أما الترجيح ففيه ترك لأحدهما.

الثاني: أن الصلاة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، وقد تنوعت كثير من أقوالها وأفعالها، كما تقدم، وكما سيأتي، فيكون تنوع مقدار القراءة من هذا الباب، والله أعلم. (منحة العلام في شرح بلوغ المرام عبد الله بن صالح الفوزان ١/٦٨).

فائدة:

العُلماء الذين قالوا باستحباب تطويل الركعة الأولى عن الثانية استثنوا مسألتين:

المسألة الأولى: إذا كان الفرق يسيراً، فلا حَرج مثل قراءة «سبح» في الركعة الأولى و«الغاشية» في الركعة الثانية في يوم الجمعة وفي يوم العيد، فإن «الغاشية» أطول، لكن الطول يسير.

المسألة الثانية: في صلاة الخوف.

صلاةُ الخوف وردت عن النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام على أوجه متعدِّدة حسب ما يقتضيه الحال، ومِن الأوجه التي وَرَدتْ عليها: أنَّ الإمام يقسم الجيشَ إلى قسمين؛ قسم يبقون أمام العدو، وقسم يدخل مع الإمام يصلِّي، فإذا قامَ إلى الركعة الثانية انفردَ الذين يصلُّون معه وأتموا صلاتَهم؛ والإمامُ واقف، ثم انصرفوا إلى مكان الطائفة الباقية تجاه العدو، وجاءت الطائفة الباقيةُ ودخلوا مع الإمام؛ والإمامُ واقف، وصلُّوا معه الركعةَ التي بقيتْ، فإذا جَلسَ للتشهدِ قاموا

وأتموا صلاتَهم قبل أن يُسلِّمَ الإمامُ، ثم جلسوا للتشهد وسلَّموا معه.

فالإمامُ في الركعة الثانية كان وقوفُه أطول من وقوفه في الركعةِ الأولى، لكن هكذا جاءت به السُّنَّة من أجل مراعاةِ الطائفةِ الثانية.(الشرح الممتع محمد بن صالح بن عثيمين ٤/١٩٥).

تنكيس قراءة القرآن في الصلاة:

المقصود به أن يقرأ في الركعة الثانية سورة أسبق في ترتيب المصحف مما قرأ في الأولى.

ذهب جمهور الفقهاء- الحنفية والمالكية والحنابلة- إلى كراهة تنكيس السور واستثنى الحنفية والمالكية من قرأ في الركعة الأولى بسورة الناس، فإنه يقرأ في الثانية أول سورة البقرة، وذهب الشافعية إلى أن تنكيس السور خلاف الأولى. [الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٧/١٠٤].

المقصود بتنكيس قراءة القرآن في الصلاة: أن يقرأ في الركعة الثانية سورة أسبق في ترتيب المصحف مما قرأ في الأولى.
ذهب جمهور الفقهاء- الحنفية والمالكية والحنابلة- إلى كراهة تنكيس السور في الصلاة.

واحتج الجمهور بأن الصحابة رضي الله عنهم وضعوا المصحف الإمام- الذي يكادون يجمعون عليه- في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وضعوه على هذا الترتيب، فلا ينبغي الخروج على إجماعهم، أو عما يكون كالإجماع منهم؛ لأنهم سلفنا وقدوتنا. [الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين ٣/٧٩].

وبما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سُئل عمن يقرأ القرآن منكوسًا فقال: «ذلك منكوس القلب». [مصنف عبد الرزاق: ٧٩٤٧].

وعلل ابن عابدين ذلك بقوله: لأن ترتيب السور في القراءة من واجبات التلاوة، وإنما جُوز للصغار تسهيلاً لضرورة التعليم. [حاشية ابن عابدين: ١/٣٦٧].

قلت: وهذا الكلام غير مسلم لأن ترتيب السور في القراءة لا دليل عليه، والأصح أنه ليس بواجب.

واحتج من قال بعدم الكراهة بحديث حذيفة ابن اليمان الذي في «صحيح مسلم»: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من الليل فقرأ بسورة البقرة، ثم بالنساء، ثم آل عمران) فهنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يرتب بين السور فدل على جوازه.

وثبت في البخاري- معلقًا-: أن عمر قرأ في الصبح في الركعة الأولى بالكهف، وفي الركعة الثانية بسورة يوسف أو يونس. والشك في الرواية. وحيثما كان اليقين والشك سواء هنا فإن السورتين كلتيهما متقدمة على سورة الكهف. [شرح الزاد للحمد ٥/٥٨].

قلتُ: والرأي الذي قال أنه خلاف الأول هو الأرجح؛ لقوة الأدلة التي احتج بها في باب هذا الرأي.

تتمة في تنكيس الآيات، والكلمات، والحروف:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أما تنكيس الحروف؛ بمعنى: أن تكون الكلمة مشتملة على ثلاثة أحرف؛ فيبدؤها الإنسان من آخرها مثلاً، فهذا لا شك في تحريمه، وأن الصلاة تبطل به؛ لأنه أخرج القرآن عن الوجه الذي تكلم الله به، كما أن الغالب أن المعنى يختلف اختلافا كبيرًا.

وأما تنكيس الكلمات؛ أي: يبدأ بكلمة قبل الأُخرى، مثل: أن يقول: الحمد لرب العالمين، الله الرحمن الرحيم، فهذا أيضًا محرم بلا شك، لأنه إخراجٌ لكلام الله عن الوجه الذي تكلم الله به، وتبطل به الصلاةُ.

وأما تنكيس الآيات أيضًا؛ فمحرم على القول الراجح؛ لأن ترتيبِ الآيات توقيفي، ومعنى توقيفي: أنه يُتوقفُ على ما ورد به الشرع. [الشرح الممتع ٣/٧٩].

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

رفقاً أهل السنة بأهل السنة

الشيخ الدكتور
عبد المحسن العباد البدر

الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد، فإن المشتغلين بالعلم الشرعي من أهل السنة والجماعة السائرين على ما كان عليه سلف الأمة هم أحوج في هذا العصر إلى التآلف والتناصح فيما بينهم، لاسيما وهم قلة قليلة بالنسبة للفرق والأحزاب المنحرفة عما كان عليه سلف الأمة، وقبل أكثر من عشر سنوات وفي أواخر زمن الشيخين الجليلين: شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين رحمهما الله اتجهت فئة قليلة جداً من أهل السنة إلى الاشتغال بالتحذير من بعض الأحزاب المخالفة لما كان عليه سلف الأمة، وهو عمل محمود ومشكور.

ولكن المؤسف أنه بعد وفاة الشيخين اتجه بعض هذه الفئة إلى النَّيل من بعض إخوانهم من أهل السنة الداعين إلى التمسك بما كان عليه سلف الأمة من داخل البلاد وخارجها، وكان من حقهم عليهم أن يقبلوا إحسانهم ويشدوا أزرهم عليه، ويسددوهم فيما حصل منهم من خطأ إذا ثبت أنه خطأ، ثم لا يشغلون أنفسهم بعمارة مجالسهم بذكرهم والتحذير منهم، بل يشتغلون بالعلم اطلاعاً وتعليماً ودعوة، وهذا هو المنهج القويم للصلاح والإصلاح الذي كان عليه شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز إمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر رحمه الله، والمشتغلون بالعلم من أهل السنة في هذا العصر قليلون وهم بحاجة إلى الازدياد لا إلى التناقص وإلى التآلف لا إلى التقاطع.

ويقال فيهم مثل ما قال النحويون: «المصغَّر لا يصغَّر»، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/٥١): «وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى يقول: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» [الأنفال: ١]، ويقول: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران:١٠٣] ويقول: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: ١٠٥] وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة؛ كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة».

وقد كتبت في هذا الموضوع رسالة بعنوان: «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» طبعت في عام ١٤٢٤هـ، ثم في عام ١٤٢٦هـ، ثم طبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٦/٢٨١-٣٢٧) في عام ١٤٢٨هـ، أوردت فيها كثيراً من نصوص الكتاب والسنة وأقوال العلماء المحققين من

أهل السنة، وقد اشتملت الرسالة بعد التقديم على الموضوعات التالية: نعمة النطق والبيان، حفظ اللسان من الكلام إلا في خير، الظنّ والتجسُّس، الرِّفق واللين، موقف أهل السنّة من العالم إذا أخطأ أنه يُعذر فلا يُبدَّع ولا يُهجَر، فتنة التجريح والهجر من بعض أهل السنّة في هذا العصر وطريق السلامة منها، بدعة امتحان الناس بالأشخاص، التحذير من فتنة التجريح والتبديع من بعض أهل السنة في هذا العصر.

ومما يؤسف له أنه حصل أخيراً زيادة الطين بلة بتوجيه السهام لبعض أهل السنة تجريحاً وتبديعاً، وما تبع ذلك من تهاجر، فتتكرر الأسئلة: ما رأيك في فلان بدَّعه فلان؟ وهل أقرأ الكتاب الفلاني لفلان الذي بدَّعه فلان؟ ويقول بعض صغار الطلبة لأمثالهم: ما موقفك من فلان الذي بدَّعه فلان؟ ولابد أن يكون لك موقف منه وإلا تركناك!!!

ويزداد الأمر سوءاً أن يحصل شيء من ذلك في بعض البلاد الأوربية ونحوها التي فيها الطلاب من أهل السنة بضاعتهم مزجاة، وهم بحاجة شديدة إلى تحصيل العلم النافع والسلامة من فتنة التهاجر بسبب التقليد في التجريح، وهذا المنهج شبيه بطريقة الإخوان المسلمين الذين قال عنها مؤسس حزبهم: «فدعوتكم أحقّ أن يأتيها الناس ولا تأتي أحداً... إذ هي جماعُ كل خير، وغيرها لا يسلم من النقص!!». (مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٣٢، ط. دار الشهاب) للشيخ حسن البنا.

وقال: «وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرَّقت القلوبَ وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحباً به، وما خالفها فنحن براء منه!!!» (مجموعة رسائل حسن البنا ص ٢٤٠، ط. دار الدعوة سنة ١٤١١هـ).

وجوب الحذر من تنقص العلماء:

ومن الخير لهؤلاء الطلاب - بدلاً من الاشتغال بهذه الفتنة - أن يشتغلوا بقراءة الكتب المفيدة لأهل السنة لاسيما كتب العلماء المعاصرين كفتاوى شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز، وفتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، ومؤلفات الشيخ ابن عثيمين وغير ذلك، فإنهم بذلك يحصِّلون علماً نافعاً، ويسلمون من القيل والقال وأكل لحوم بعض إخوانهم من أهل السنة.

قال ابن القيم في الجواب الكافي (ص٢٠٣): «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يُرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول».

إذا وُجد لأحد من أهل السنة كلام مجمل وكلام مفصَّل؟

وإذا وُجد لأحد من أهل السنة كلام مجمل وكلام مفصَّل فالذي ينبغي إحسان الظن به وحمل مجمله على مفصله؛ لقول عمر رضي الله عنه: «ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»، ذكره ابن كثير في تفسير سورة الحجرات.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري (ص٣٢٤): «ومعلوم أن مفسر كلام المتكلم يقضي على مجمله، وصريحه يُقدَّم على كنايته».

وقال في الصارم المسلول (٥١٢/٢): «وأَخْذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجرُّ إلى مذاهب قبيحة»، وقال في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤٤/٤): «فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتُعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به».

الناقدون والمنقودون لا عصمة لهم:

والناقدون والمنقودون لا عصمة لهم ولا يسلم أحد منهم من نقص أو خطأ، والبحث عن الكمال مطلوب، لكن لا يُزهَد فيما دونه من الخير ويُهدر، فلا يقال: إما كمال وإلا ضياع، أو إما نور تام وإما ظلام، بل يحافظ على النور الناقص ويُسعى لزيادته، وإذا لم يحصل سراجان أو أكثر فسراج واحد خير من الظلام.

ورحم الله شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز الذي وقف حياته للعلم الشرعي تعلماً وعملاً وتعليماً ودعوةً وكان معنياً بتشجيع المشايخ وطلبة العلم على التعليم والدعوة، وقد سمعته يوصي أحد المشايخ بذلك، فاعتذر بعذر لم يرتضه الشيخ، فقال رحمه الله: «العمش ولا العمى»، والمعنى: ما لا يُدرك كله لا يترك بعضه، وإذا لم يوجد البصر القوي ووُجد بصر ضعيف وهو العمش فإن العمش خير من العمى، وقد فقد شيخنا رحمه الله بصره في العشرين من عمره ولكن الله عوضه عنه نوراً في البصيرة اشتهر به عند الخاص والعام.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٠):

«فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف وإلا بقي الناس في الظلمة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية»، ويشبه هذا مقولة بعض الناس: «الحق كل لا يتجزأ فخذوه كله أو دعوه كله»، فإنَّ أخْذه كله حق وتركه كله باطل، ومن كان عنده شيء من الحق يوصى بالإبقاء عليه والسعي لتحصيل ما ليس عنده من الحق.

الهجر المحمود:

والهجر المحمود هو ما يترتب عليه مصلحة وليس الذي يترتب عليه مفسدة، قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/١٧٣): «ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة»، وقال أيضاً (٢٨/٢٠٦): «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر» إلى أن قال: «إذا عُرف هذا، فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله، فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره، فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجا عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله».

موقف أهل السنة من العالم إذا أخطأ:

وقد ذكر أهل العلم أن العالم إذا أخطأ لا يتابَع على خطئه ولا يُتبرأ منه وأنه يُغتفر خطؤه في كثير صوابه، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٩) بعد كلام سبق: «ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة الإسلام، يوالون عليه ويعادون كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه وفرق جماعة المسلمين...».

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩): «ولو أنّا كلما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له قُمنا عليه وبدَّعناه وهجَرناه، لَمَا سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ولا مَن هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة»، وقال أيضاً (١٤/٣٧٦): «ولو أنَّ كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحَّة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدَّعناه، لِقل مَن يسلم من الأئمَّة معنا، رحم الله الجميعَ بمنِّه وكرمه».

من التجريح ما يكون الباعث عليه الهوى:

وذكر ابن الجوزي أن من التجريح ما يكون الباعث عليه الهوى، قال في كتابه صيد الخاطر (ص١٤٣): «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه، ولقد لقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة ويخرجونها مخرج جرح وتعديل... ولقد لقيت عبد الوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف ولم يُسمع في مجلسه غيبة...».

وقال في كتابه تلبيس إبليس (٢/٦٨٩): «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلباً للتشفي، ويُخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع، والله أعلم بالمقاصد»، وإذا كان هذا في زمن ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) وما قاربه فكيف بأهل القرن الخامس عشر؟!

وجوب إعادة النظر في طريقة التجريح:

وقد صدر أخيراً رسالة قيمة بعنوان: «الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة» تأليف الشيخ محمد بن عبد الله الإمام من اليمن، وقد قرَّظها خمسة من مشايخ اليمن، وقد اشتملت على نقول كثيرة عن علماء أهل السنة قديماً وحديثاً، ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم رحمهما الله، وهي نصيحة لأهل السنة لإحسان التعامل فيما بينهم.

وأسأل الله عز وجل أن يوفق أهل السنة في كل مكان للتمسك بالسنة والتآلف فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى ونبذ كل ما يكون فيه فرقة أو خلاف بينهم، وأسأله تعالى أن يوفق المسلمين جميعاً للفقه في الدين والثبات على الحق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله صحبه.

واحة التوحيد

من دلائل النبوة
حفظ الله للنبي قبل البعثة

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي! لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك دون الحجارة. قال: فحله، فجعله على منكبيه، فسقط مغشيًا عليه، فما رُئي بعد ذلك عريانًا صلى الله عليه وسلم. [صحيح البخاري: ٣٦٤].

من نور كتاب الله
الأعمال الصالحة تنجي من النار

قال تعالى: «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» [النمل: ٨٩– ٩٠].

فضائل الصحابة بشهادة آل البيت

عن جابر عن أبي جعفر الصادق قال: قلت له: هل كان فيكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؟ فقال: لا، أتولهما وأستغفر لهما وأحبهما. قلت: هل كان فيكم أحد يؤمن بالرجعة؟ قال: لا. [الشريعة للآجري، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢١/٥].

حكم ومواعظ

قال عبدالملك بن مروان: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخف بهم: العلماء، والسلطان، والإخوان. فمن استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

[العقد الفريد]

من أقوال السلف

قال إسحاق بن الضباع: جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة، فقال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذا. قال: أرأيت إن كان كذا؟ قال مالك: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». [الفقيه والمتفقه].

من نصائح السلف عن الحكام

قال عبدالله بن مسعود: «إذا كان الإمام عادلا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر».

[عيون الأخبار]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

في شهر شعبان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ.

[سنن أبي داود ٢٤٣٦ وصححه الألباني]

الدعاء قبل مجيء الشهر

قال معلى بن الفضل: كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

و قال يحيى بن أبي كثير كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً. (لطائف المعارف للإمام ابن رجب رحمه الله)

إعداد: علاء خضر

العلم قبل العمل

عن الحسن بن الربيع، قال: سألت ابن المبارك، قلت: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؟ قال: ليس هو الذي يطلبونه، ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه.

[جامع بيان العلم].

التوبة الصادقة

عن شقيق بن إبراهيم قال: علامة التوبة البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار.

[سير أعلام النبلاء].

التدرب على الصلاة والصيام

عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت ثابتًا البناني يقول: لا يسمى عابد أبدًا عابدًا وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه.

[سير أعلام النبلاء].

سماع مواعظ ترقق القلب

عن الحسن البصري قال: حقيق على من عرف أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الجبار مشهده، أن تطول في الدنيا حسرته، وفي العمل الصالح رغبته.

[الزهد للحسن البصري].

الحلقة (٦١)

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تأثير قرائن السـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً حول الخطوات المتبعة التي تُتخذ لدفع التعارض الظاهري بين النصوص، فذكرنا الخطوة الأولى: وهي الجمع بين الأدلة، والخطوة الثانية وهي: النسخ، وبدأنا الكلام عن الخطوة الثالثة، وهي الترجيح: الذي هو تقوية أحد الدليلين على الآخر، ولا يكون هذا إلا مع وجود التعارض، ولا يُصار إليه إلا بعد عدم التمكن من الجمع بين الأدلة.

وطرق الترجيح بين الأدلة النقلية لها أربعة أوجه:

١- الترجيح من جهة السند.

٢- الترجيح من جهة المتن.

٣- الترجيح لأمر خارجي.

٤- الترجيح بالدلالة.

فانتهينا -بفضل الله تعالى- من الوجه الأول، وبدأنا البحث في الوجه الثاني: الترجيح من جهة المتن وله طرق، ذكرنا منها أربعة طرق هي: ترجيح النص على الظاهر، والظاهر على المؤول، والمنطوق على المفهوم، والمثبت على النافي. ونستأنف البحث:

الوجه الخامس من أوجه الترجيح من جهة المتن : ترجيح الخاص على العام:

أولا: تعريف العام:

العام في اللغة هو: الشامل.(البحر المحيط ١٩٧)

أما في الاصطلاح فقد عرف العام بتعريفات كثيرة، من أجملها ما عرفه به الجيزاني - رحمه الله تعالى - بقوله: «»ما يستغرق جميع ما يصلح له، بحسب وضع واحد، دفعة، بلا حصر»»؛ (معالم أصول الفقه ص٤١٢)

شرح التعريف:

قوله : «ما يستغرق جميع ما يصلح له : أي يستغرق جميع الأفراد كقولنا: الرجال، فهو لفظ عام يشمل جميع الرجال، وهذا القيد أخرج ما لا يشمل إلا فردًا واحدًا؛ كالعَلَم (محمد ، فاطمة ، عبدالله) وأخرج النكرة، كقولنا: رجل؛ لأنه يصلح لكل واحد من رجال الدنيا، لكنه لا يستغرق جميع الرجال وكذلك التثنية، والجمع: كرجلين، ورجال (لأنه جمع منكّر)، فهما لا يفيدان الاستغراق وكذلك لفظ الرجل إذا أريد به معين فإنه لم يستغرق ما يصلح له؛ إذ لفظ الرجل يصلح للدلالة على جميع الرجال ولكنه في حالة أن يراد به رجل معين لم يستغرقهم جميعا، وبالجملة: اللفظ لا بد أن يصلح للدلالة على شيء، فإن دل على جميع ذلك الشيء الذي يصلح للدلالة عليه، فهو العام، وإلا فليس بعام

قوله : بحسب وضع واحد: للاحتراز عن اللفظ المشترك (الذي له معانٍ متعددة)، أو اللفظ الذي له حقيقة ومجاز، كلفظ القرء، فإنه ليس بوضع واحد، بل بأكثر منه، فالقرء الدال على الحيض إنما وضع له، وكذلك القرء الدال على الطهر إنما وضع له بوضع آخر غير الوضع الأول، بخلاف قولنا: الرجال، فإن دلالته على جميع ما يصلح له بوضع واحد.

قوله : دفعة:أي: دفعة واحدة ومعناه شامل لجميع أفراده في آن واحد، وهذا هو المراد من تقييد العام في التعريف بـ«دفعة» ليخرج المطلق؛ إذ إن المطلق عام أيضا، لكن عمومه بدلي(على سبيل التناوب وليس دفعة واحدة ولا يحكم فيه على كل فرد ، بل على فردٍ شائع في أفرادِه يتناولها على سبيل البدل ولا يتناوَل أكثَر من واحد منها دفعة)؛ لذا نجد بعض العلماء يسمى المطلق عامًا .

قوله : بلا حصر: أي : لا حد لها وبذلك تخرج أسماء الأعداد (أربعة ، خمسة ، خمسين ، ألف) لأنها محصورة .(انظر المحصول للرازي (ت ٦٠٦هـ) ٣١٠/٢، روضة الناظر لابن قدامة (ت ٦٢٠) ٧/٢،



ـياق على الأحكام الفقهية

إعداد/ متولي البراجيلي

معالم أصول الفقه للجيزاني صد ٤١٢)

[فائدة: ما الفارق بين العموم في المطلق والعام؟ وهل هناك وجه شبه بينهما؟

الذي عليه المحققون أن العموم يقع على قسمين: المطلق والعام فكلاهما عام، وأنهما يشتركان في ثبوت الحكم لكل فرد من الأفراد الداخلة تحت مدلولهما وكلاهما يعمل به على ظاهره، ولا يصرف عن ظاهره إلا بورود دليل يدل على هذا ، وأما أوجه الاختلاف بينهما فتبدوا فيما يلي:

فالعام هو: اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له دفعة واحدة(يستغرق كل أفراده دفعة واحدة) ، أما المطلق فيستغرق واحداً من الكل (واحد من الأفراد فقط بالتناوب).

والعام أقوى من المطلق، وسُمي المطلق عامًا بسبب أن موارده غير منحصرة.. ما معنى ذلك؟ المثال يبين المقصود:

عموم العام يتعلق بالأفراد (فاقتلوا المشركين)، وعموم المطلق يتعلق بالصفات (فتحرير رقبة).

يخرج المكلف بالمطلق عن عهدة التكليف بفعل أي فرد من الأفراد التي ينطبق عليها مدلول اللفظ المطلق.

بينما في العام لا يكون ممتثلاً إلا إذا فعل جميع الأفراد التي يشملها اللفظ العام.

في التسمية حيث يسمى العام: عموم الشمول(يدل على الشمول المستغرق لجنسه)، بينما يسمى المطلق عموم البدل أو الصلاحية(يدل على الشيوع المنتشر في جنسه).

ولعل المثال الآتي يبين هذه الفروق : في قوله تعالى: (فتحرير رقبة) لفظ (رقبة) عام لأنه لم يحدد رقبة بعينها، لكنه عموم بدلي(أي بالتناوب)، بمعنى أنه إذا أعتق أي رقبة طويلة أم قصيرة، سوداء أم بيضاء أو غير ذلك فقد جاء بالحكم، ولا يجب عليه غيرها.

الذي عليه المحققون أن العموم يقع على قسمين : المطلق والعام فكلاهما عام، وأنهما يشتركان في ثبوت الحكم لكل فرد من الأفراد الداخلة تحت مدلولهما وكلاهما يعمل به على ظاهره، ولا يصرف عن ظاهره إلا بورود دليل يدل على هذا.

أما العموم في قوله تعالى: (فاقتلوا المشركين) فلا يمكن حصره في فرد واحد بحيث لو أتى به نفَذ الأمر، كما في عتق الرقبة، بل يلزمه قتل جميع المشركين(أي: تتبع جميع الأفراد الداخلة تحت اللفظ العام) .(انظر : المطلق والمقيد لحمد بن حمدي الصاعدي ص١٣٦-١٤٠)].

ثانيًا: تعريف الخاص:

هو كل لفظ وُضع لمعنًى واحد على الانفراد (أو ما دل على معين محصور والخاص بخلاف العام، وهو ما دل على ما وُضع له دلالةً أخص من دلالة ما هو أعم منه.

فالخاص لا يتناول سوى واحد كزيد مثلاً، أو يتناول أكثر منه، ولكنه على سبيل الحصر، كاثنين أو خمسة أو مائة؛ لأنه خاص بهذا العدد. ومنه النكرة في سياق الإثبات، كقولك رأيت رجلاً في البيت، فإنه وإن كان صالحًا لكل رجل، إلا أنه عمليًا لا يصدق إلا بفرد واحد يختص به، لأنه بمعنى رأيت رجلاً واحدًا (انظر



كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري ت ٧٣٠، ١/ ٣٠، شرح الكوكب المنير لابن النجار ت٩٧٢، ٣/ ١٠٤).

(مع ملاحظة أن النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، لقوله تعالى: «وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ» (الأنعام: ١٠١).(النكرة في سياق النفي، أو في سياق الشرط (من إله غير الله)، أو في سياق النهي تفيد العموم (ولاتطع منهم آثما أو كفورا)

فالحاصل أن الخاص يقابل العام فيؤخذ حده (تعريفه) من تعريف العام.

ثالثا: ألفاظ العموم:

أنكر بعضهم أن للعموم صيغًا تخصه، وهذا ليس بصحيح، بل هو حادث بعد القرون الثلاثة الأولى، ومذهب جمهور الأصوليين أن للعموم صيغًا وألفاظا تخصه، وذهب بعض العلماء إلى نفي ذلك، قال الشوكاني: ذهب الجمهور إلى أن العموم له صيغة موضوعة له حقيقة.. (إرشاد الفحول للشوكاني (ت ١٢٥٠) ١/ ٢٩١. وللتدليل على هذا والتوسع فيه ينظر: (معالم أصول الفقه صـ٣١٤، ٤١٤ للجيزاني).

أنكر بعضهم أن للعموم صيغًا تخصه، وهذا ليس بصحيح، بل هو حادث بعد القرون الثلاثة الأولى، ومذهب جمهور الأصوليين أن للعموم صيغًا وألفاظا تخصه، وذهب بعض العلماء إلى نفي ذلك.

وألفاظ العموم خمسة أقسام:

الأول: الاسم المعرف بالألف واللام لغير العهد (لأن المعرف بلام العهد ليس عامًا، وإنما يدل على ذات معينة، مثل: رأيت كتابا في النحو ،فأحببت هذا الكتاب) ومثال الألف واللام لغير العهد : الكتاب نعم الجليس ، وهو ثلاثة أنواع:

١- ألفاظ الجموع: كالمسلمين، والمشركين والذين (ويعبر عنه بالمفرد المحلى باللام غير العهدية، وكونه من صيغ العموم، هو مذهب الشافعي وأحمد وابن برهان وأبي الطيب والبويطي، ونقله الآمدي عن أكثر العلماء، ونقله الفخر الرازي عن الفقهاء. (انظر شرح الكوكب المنير ٣/١٣٣-١٣٤)).

٢- أسماء الأجناس: وهو ما لا واحد له من لفظه كالناس والحيوان، والماء، والتراب.

لفظ الواحد: كالسارق والسارقة، والزاني والزانية.

القسم الثاني من ألفاظ العموم:

ما أضيف من هذه الأنواع الثلاثة (والسابق ذكرها وهي ألفاظ الجموع، وأسماء الأجناس، والمفرد المحلى بالألف واللام) إلى معرفة، مثل عبيد زيد (جمع منكر مضاف إلى معرفة)، مال عمرو (اسم جنس مضاف إلى معرفة)، السارق، والزانية (مفرد محلى بالألف واللام).

القسم الثالث: أدوات الشرط كـ (من) للعاقل، كقوله تعالى: «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق: ٣)، (ما) لغير العاقل، كقوله تعالى: «مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ» (النحل: ٩٦).

(أي) في الجميع (للعاقل وغير العاقل) كقوله تعالى: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ» (النساء: ٧٨)، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها: «أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل» (صحيح سنن أبي داود وغيره).

القسم الرابع: كل، وجميع، وقاطبة، وعامة وكافة : والأمثلة كقوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (آل عمران: ١٨٥) وقوله تعالى:«فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» (فاطر: ١٠) ، وقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ)، وقوله صلى الله عليه وسلم : (وبعثت إلى الناس عامة) ومثال قاطبة : (أجمع العلماء قاطبة).

القسم الخامس: النكرة في سياق النفي والنهي والشرط والاستفهام ومن الأمثلة قوله تعالى: «وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ» (الأنعام: ١٠١)، ومثال النهي كلفظ (شيئًا) في قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)، ومثال الشرط كلفظ نعمة في قوله تعالى:

«وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» [النحل: ٥٣]، ومثال الاستفهام كلفظ (إله) في قوله تعالى: (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم)

أما النكرة في سياق الأمر ففيها خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: تفيد العموم مثل النكرة في سياق النفي، ومنهم من قال: لا تفيد العموم، وهو رأي الجمهور، ومن أمثلته «اعتق رقبة»، فالجمهور يقولون: إنه لا يفيد العموم؛ لأنه مطلق، والمطلق ليس بعام - كما سبق-) (انظر روضة الناظر ٢/١٠- ١٥).

رابعا: ترجيح الخاص على العام

وهذا مذهب جمهور الأصوليين من المذاهب الثلاثة، وعند الحنفية أنهما سواء، وهو رواية عن الإمام أحمد مثال قول الله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأنفال: ٤١)، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو قتادة رضي الله عنه، وفيه:».. من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه..». (متفق عليه).

فالآية تبين أن ما أخذتم من مال الكفار قهرًا بحق، قليلاً كان أو كثيرًا، فإن تقسيمه يكون كما بالآية، والحديث أن من قتل قتيلاً فله ما معه من مال وسلاح وغيره، فاختلف الفقهاء نتيجة عموم الآية، وخصوص الحديث في السَّلَب هل يُخَمَّس أم لا؟ فقدم الشافعي الحديث وخص به الآية، فقال: كل شيء من الغنيمة يُخَمَّس إلا السلب، فإنه لا يُخَمَّس، وهو قول أحمد بن حنبل والأوزاعي والليث وأبي إسحاق وأبي ثور وأبي عبيد، وذكر ابن خويزمنداد عن مالك أن الإمام مخيَّر فيه، إن شاء خمَّسه على الاجتهاد كما فعل عمر في سلب البراء بن مالك، وإن شاء لم يُخَمِّسه... وقال مكحول والثوري: إن السلب مغنم ويُخَمَّس، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما؛ فحجة من قال: إن السلب يُخَمَّس عموم الآية، ومن قال: لا يُخمس الحديث، وذهب البخاري إلى أنه لا يُخمَّس (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت ٤٤٩) ٥/ ٣٠٩- ٣١١، التمهيد لابن عبد البر (ت ٤٦٣) ٢٣/٢٤٢).

وذكر النووي أن ممن قال للقاتل السلب: الشافعي ومالك والأوزاعي والليث والثوري وأبو ثور وأحمد وإسحاق وابن جرير وغيرهم يستحق القاتل سلب القتيل في جميع الحروب... قالوا: وهذه فتوى من النبي صلى الله عليه وسلم، وإخبار عن حكم الشارع فلا يتوقف على قول أحد... ثم حكى قول المعارضين، وأن القاتل لا يستحق بمجرد القتل سلب القتيل، بل هو لجميع الغانمين كسائر الغنيمة، إلا أن يقول الأمير قبل القتال: من قتل قتيلاً فله سلبه، حملوا الحديث على هذا، وجعلوا هذا إطلاقا من النبي صلى الله عليه وسلم وليس بفتوى وإخبار عام. وهذا الذي قالوه ضعيف (شرح النووي على مسلم (ت٦٧٦) ١٢/ ٥٨-٥٩).

> النكرة في سياق الأمر فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: تفيد العموم مثل النكرة في سياق النفي، ومنهم من قال: لا تفيد العموم، وهو رأي الجمهور.

(فائدة مهمة: سنلاحظ في غالب الأمثلة المضروبة في أبواب أصول الفقه المختلفة كالترجيح الذي نتكلم فيه الآن، أن العلماء لم يتفقوا على وجه واحد في المسألة المطروحة؛ لأن هذه مسألة اجتهادية تختلف باختلاف النظر إلى الأدلة، فإذا قال البعض بالجمع نجد من يقول عن نفس المثال بالنسخ أو الترجيح، لذا يجد الباحث أشد الصعوبة في أن يقف على أمثلة يجمع على توجيهها على وجه واحد أهل العلم قاطبة).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

هُدَى القرآن

الهدي القرآني في التربية

الحلقة الثالثة

كتبه/ د. أحمد فريد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد بدأنا في اللقاء الماضي الحديث عن الهدي القرآني في التربية، وذكرنا أمثلة للتربية القرآنية، ونكمل ما بدأناه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٨- القرآن يربي المسلم على أن التفاضل بين الناس ليس بالحسب ولا بالنسب، ولا بالمال ولا بالشهرة، وإنما هو بتقوى الله عز وجل:

قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [الحجرات: ١٣].

فقد كان أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم قرشيًا هاشميًا، وحكم عليه القرآن بالنار وهو يمشي على الأرض، فقال الله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ» [المسد: ١- ٥].

وكان سلمان فارسياً لم يكن أعرابياً، فضلاً عن أن يكون قرشياً، وارتفع بتقوى الله عز وجل واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال بعضهم:

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس
وقد وضع الكفرُ الشريفَ أبا لهب

وكان سلمان رضي الله عنه يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

٩- القرآن يربي المسلم على الآداب الإسلامية المباركة كآداب بر الوالدين، وآداب النظر، وآداب الاستئذان، وآداب الحكم:

قال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» [الإسراء: ٢٣].

قال تعالى في آداب النظر: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» [النور: ٣٠- ٣١].

وقال تعالى في آداب الاستئذان: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

«لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » [النور: ٢٧].

وقال تعالى في آداب الحكم: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »[آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى:«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا »[النساء: ٥٨].

١٠- القرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والبذل في إعزاز دين الله عز وجل:

قال تعالى: « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا »[الحديد: ٢٠].

فمهما زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها؛ فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته،

> **القرآن يربي المؤمن على الزهد في الدنيا فإذا زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها؛ فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته.**

وقال تعالى:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ » [التوبة: ٣٨].

وقال تعالى: «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »[التوبة: ٤١].

وقد كانت مواقف الصحابة رضي الله عنهم في البذل والتضحية على أعلى مستوى من الجلالة والعظمة؛ لارتفاع رتبتهم في الزهد في الدنيا واليقين بالآخرة، والصدق مع الله عز وجل.

١١- القرآن يربي في المسلم العواطف الربانية الوجدانية:

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه: «يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات، وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

أ- كعاطفة الخوف من الله التي أمر بها: «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » [آل عمران: ١٧٥]، ومدح عباده الذين يخافون منه، ووعدهم بالثواب العظيم: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » [الرحمن: ٤٦]، بل أمرنا أن ندعوه خوفاً من عذابه وطمعاً في ثوابه، فقال سبحانه: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » [الأعراف: ٥٥- ٥٦].

وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بُنيت بعض العبادات كالصوم، وتحريم الصيد في الحج:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ »[المائدة: ٩٤].

كما بُني كثير من المعاملات الإسلامية عليها كالنصح في البيع والشراء، ورعاية اليتيم، وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد، فكل من خاف ربه كان إنساناً فاضلاً وعادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاءَ بلا ضابط ولا وازع، له قلب كالحجارة أو أشد قسوة.

(ب) الخشوع: معناه التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله، وهو ثمرة الخوف.

وقد ورد الحض على الخشوع عند ذكر الله وقراءة القرآن في قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » [الحديد: ١٦].

(ج) المحبة: فطر الإنسان منذ طفولته على الميل إلى أن يُحب ويكون محبوباً، وقد ورد الحب في القرآن في عدة آيات، والحب في الأصل- كما هو معروف بين الناس - تعلق المحب بالمحبوب، وتتبع آثاره، ودوام تذكره، وحضور القلب معه، وعمل ما يرضيه ويحقق سروره، قال تعالى: « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ » [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير: «ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئاً، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجئون إليه في جميع أمورهم«.

قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » [آل عمران: ٣١]؛

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلِّغ أوامره من شروط محبته.

كما وصف الله الذين يحبهم الله ويحبونه بقوله: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »[المائدة: ٥٤].

وإذا تتبعنا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصاً على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وإن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله: الشعور بفضله، والتعرف على نِعَمه، وإلى ما أعد للمتقين في جنات النعيم، وطول مناجاته، وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته... إلخ.

(د) الرجاء: وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعاً إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله. فكان الصحابي والمجاهد يقول: (بخ بخ) هل بيني وبين الجنّة إلا أن أقاتل فأقتل في سبيل الله؟! ويهجم على الأعداء حتى يُستشهد، وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة يُبنى على الإيمان بالله واليوم الآخر، على الإكثار من وصف الجنة ونعيمها، وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله، وترك نواهيه، وبالجهاد وإعلاء كلمة الله». [أصول التربية الإسلامية وأساليبها باختصار (ص٢٥٩: ٢٦٢)].

وختم - حفظه الله - بحثه بما ملخصه:

«تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها. فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهى الله عن هذا اليأس، فقال تعالى:«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[الزمر: ٥٣].

كذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح بزوال الشدة وقوته، مما يدعوه إلى العودة إلى المعاصي. بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور والرجاء في رحمة الله، فلا ييأس من عفوه.

وكل من اليأس والغرور يؤدي- إذا تمادى بصاحبه- إلى الكفر أو الفسوق والطغيان، كما يُفهم من الآيات السابقة.

ومن قوله تعالى: « أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » [الأعراف: ٩٩].

ولو استجمع الإنسان في ذهنه صفة من صفات الكمال الإلهي، وما يقابلها من تلك الصفات؛ لما وقع في شيء من الإفراط أو التفريط في جنب الله، فاستشعار غضب الله يجب ألا ينسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته وهكذا « [المصدر السابق (ص٢٦٣ - ٢٦٤)].

تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها، فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته.

يقول الله تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» [الأعراف: ١٦٧].

١٢- القرآن يربي المؤمن على المحبة الشديدة لله عز وجل التي تدفعه للبذل في سبيل الله وألا يعز شيئاً على الله عز وجل.

قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ»[البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ »[المائدة: ٥٤].

وحب المؤمن لله عز وجل يجعله يبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس لله عز وجل؛ فلا يعز شيئاً على الله عز وجل ولو كانت روحه التي بين جنبيه، قال تعالى: « قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ »[التوبة: ٢٤]، ولا يكون ذلك حتى يكون البذل والتضحية لإعلاء راية الله وإعزاز دينه .

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تابع تعريفات أولية لمصطلحات العقيدة الإسلامية

إعداد/ د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بدأنا في الحلقة الماضية في الحديث عن تعريفات أولية لمصطلحات العقيدة الإسلامية، ونكمل في هذه الحلقة الحديث عن ذلك.

التعريف بـ «أهل الحديث»:

الحديث في اللغة: ضد القديم، ويستعمل في كثير من الكلام وقليله، وهو اسم من التحديث بمعنى الإخبار، ثم سُمي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو وصف خَلْقي أو خُلُقي.

تعريف «أهل الحديث»:

نستطيع أن نُعرف أهل الحديث بأنهم الذين سلكوا طريق الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم جمعًا وحفظًا ورواية وفهمًا، وعملاً في الظاهر والباطن، فكانوا بذلك ألزم الناس لسنن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدِّمون بين يديه، ولا يرفعون صوتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم لا بتقديم رأي أو هوى، أو يستحدثون بدعة في مقابلة النص بحال من الأحوال.

ومنهم أيضًا: كلُّ عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب مُحْسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم؛ لأنهم أخذوا دينهم وهديهم من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم ذلك اتفاقًا في الدين، وائتلافًا، رغم بُعد ديارهم واختلاف أزمانهم.

ولذلك يمكنني أن أقول بأن: أهل الحديث يلتقون على عقيدة واحدة وإن تباعدت بهم الديار؛ وذلك لاتحاد مصدر التلقي عند هؤلاء.

وكان المتقدمون يطلقون مصطلح «أهل الحديث» على المدرسة التي تقابل «أهل الكلام» الذين عابهم السلف؛ لما أدخلوا في الاعتقاد من مصطلحات وأفكار غريبة عن المنهج الإسلامي؛ ولذلك اشتد النكير عليهم من علماء السنة، وهم أنفسهم- أي: علماء الكلام- كان يطلق عليهم «أهل الرأي»؛ لأنهم يقدمون آراءهم على الكتاب والسنة، ويعطون عقولهم سلطة الحكم على النصوص الشرعية، وهؤلاء في الحقيقة هم أعداء السنن، كما جاء وصفهم عن عمر- رضي الله عنه-.

هل هناك فرق بين مصطلح «أهل السنة» و«أهل الحديث»؟

إن كثيرًا من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- وغيره من العلماء قبله وبعده، يذكرون أهل الحديث وأهل السنة؛ مبينين اعتقادهم، ولا يفرقون بين المصطلحين.

فهذا الإمام الصابوني- رحمه الله تعالى- يقول في عقيدته: «إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة- حفظ الله أحياءهم، ورحم الله أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة...»، إلى أن يقول: «وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومَنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم».

فعبَّر بكل من المصطلحين عن الآخر؛ مما يدل على أنهما يترادفان ولاسيما إذا ذُكرا في كتب الاعتقاد؛ لأن اعتقادهما واحد، وهو ما جاء في الحديث والسنة، وهما بمعنى واحد.

وشيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً- رحمه الله تعالى- يقول: مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة. فيقرن بين أهل السنة وأهل الحديث

> أهل الحديث هم الذين سلكوا طريق الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم جمعًا وحفظًا ورواية وفهمًا.

ويجعلهما شيئًا واحدًا.

الطائفة المنصورة:

(أ) أصل إطلاق هذا اللقب:

هذا اللقب مستفاد من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» [صحيح البخاري ٧٣١١].

وما رواه معاوية بن قرة، عن أبيه: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» [سنن ابن ماجه ح(٦) وصححه الألباني].

هذا هو المراد بهذا اللقب، وهذا هو أصل إطلاقه، أننا نقول «الطائفة المنصورة».

(ب) من المرادون بهذا اللقب؟

ومما تجدر الإشارة والتنبيه عليه هنا، أن لقب «الطائفة المنصورة» يفسره أهل العلم من السلف بأنهم هم أصحاب الحديث.

لقد بيّن السلف (رحمهم الله) المراد بهذا اللقب. فقال عبد الله بن المبارك- رحمه الله تعالى- : هم عندي أصحاب الحديث.

وقال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟! يعني: «الطائفة المنصورة» الواردة في حديث: لا تزال طائفة من أمتي منصورين».

وقال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث. وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟! قال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح، وقال الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- : وهم أهل العلم.

وروى الخطيب البغدادي عنه بسنده أنه قال- يعني: أصحاب الحديث- ولا منافاة أبدًا بين القولين؛ فإن أهل الحديث من أهل العلم ولا شك.

وقال أحمد بن سنان: هم أهل العلم وأصحاب الآثار.

هذه كلمات في المراد بهذه الطائفة المنصورة أو بلقب «الطائفة المنصورة»، وقد بينا المراد بأهل الحديث: وهم الذين يروونه رواية ودراية، علمًا وعملاً واتباعًا.

تفصيل القول في أهل الحديث:

بيّن العلماء المراد بالطائفة المنصورة بأنهم هم أهل الحديث؛ ولذلك أقول تبعًا لهذا بأن أهل الحديث هم الذين يستحقون النصر والظهور لماذا؟ لنصرتهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملهم بها، وذبّهم عنها، فهم أولى الناس حقيقة بأن يُطلق عليهم هذا اللقب- أي: لقب «الطائفة المنصورة»- كما قال أبو عبد الله الحاكم- بعد أن ذكر قول الإمام أحمد في الطائفة المنصورة السابق- : فلقد أحسن أحمد ابن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة، هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وأهل الحديث بهذا المعنى هم أهل السنة. ولهذا قال القاضي عياض- رحمه الله تعالى الله، عقب قول الإمام أحمد السابق- : إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

فأهل الحديث في تفسير السلف للطائفة المنصورة: هم أهل السنة والجماعة، فهم الطائفة المنصورة؛ ولهذا ترى كثيرًا من أهل العلم يطلق اسم الطائفة المنصورة على أهل السنة والجماعة.

ألقاب أهل السنة والحديث عند خصومهم من أهل البدع

اللقب الأول: «مشبهة»:

وهذا اللقب من أشنع الألقاب التي نبزهم بها مخالفوهم في باب الأسماء والصفات- من الجهمية- والمعتزلة، والأشاعرة، وذلك أن أهل السنة والأثر يصفون الله- عز وجل- بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله- صلى الله عليه وسلم- من غير تعطيل ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وعند هذه الطوائف والفرق أنه لا بد من تأويل النصوص الواردة في باب الصفات؛ لأن ظاهرها يوهم التشبيه عندهم، فلا بد من صرفها؛ لذا عدوا كل من أثبت لله ما أثبتته النصوص من غير تأويل، مشبهًا.

فأما الجهمية: فإن من أهم وأقدم ما وصل إلينا من النصوص التي تشير إلى نبزهم أهل السنة والأثر بلقب «مشبهة» ما رواه الإمام اللالكائي عن إسحاق بن راهوية (ت ٢٣٨هـ) قال: «علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة...».

وما أورده الإمام أحمد بن حنبل في كتابه القيم: «الرد على الجهمية والزنادقة» عن الجهم (ت ١٢٨ هـ): «أنه زعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدثه عنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان كافرًا وكان من المشبهة».

وكذلك قول أبي حاتم (ت ٢٨٨هـ): «وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة».

أهل السنة والأثر يصفون الله - عز وجل - بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تعطيل ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل.

وأما المعتزلة: فهم ورثة الجهمية الذين ورثوا عنهم القول بنفي الصفات، ونبز من أثبتها بالتشبيه؛ فهذا أبو موسى المردار (ت ٣٣٦هـ)، والذي يعد من علماء المعتزلة ومقدميهم ينقل عنه الخياط (ت بعد ٣٠٠هـ) أنه: «كان يزعم أن من قال: إن الله يرى بالأبصار على أي وجه قال؛ فمشبه لله بخلقه والمشبه عنده كافر...

ومعلوم أن من أصول مذهب أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

ويقول القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) بعد أن أول الاستواء وذكر استعمالات لفظة «استوى» في اللغة قال: «وإذا كانت اللفظة تستعمل على هذه الجهات، فكيف يصح للمشبهة التعلق بها؟ يقصد من يثبت الاستواء لله- عز وجل- على عرشه.

ويذكر الإمام الرازي: (ت ٦٠٦هـ): «أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين (ت ٣٣٣هـ) قال: وهذا خطأ منهم فإنهم منزهون في اعتقادهم عن التشبه والتعطيل..

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) وأصحابه والثوري (ت ١٦١هـ) وأصحابه، والأوزاعي (ت١٥٧هـ) وأصحابه، والشافعي (ت ٢٠٤هـ) وأصحابه، وأحمد (ت ٢٤١هـ) وأصحابه، وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) وأبي عبيد (٢٢٤) وغيرهم في قسم المشبهة».

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك: «فرمى الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- بذلك؛ حتى قال ثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣ هـ) من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة: موسى حيث قال: «إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ» وعيسى حيث قال: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ» ومحمد- صلى الله عليه وسلم- حيث قال: «ينزل ربنا...».

وأما الأشاعرة: فإنهم لما كانوا لا يثبتون إلا بعض الصفات، ويؤولون البعض الآخر، فقد نبذوا من يثبت لله جميع ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله- صلى الله عليه وسلم- بالتشبيه».

يقول الجويني (٤٧٨هـ): «واعلموا أن مذهب أهل الحق أن الرب- سبحانه وتعالى- يتقدس عن شغل حيز ويتنزه عن الاختصاص بجهة.

وذهب المشبهة إلى أنه- تعالى عن قولهم- مختص بجهة فوق».

أهل السنة والجماعة يثبتون لله - عز وجل - ما أثبته لنفسه من الفوقية في قوله - عز وجل - : «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ».

ومعلوم أن أهل السنة والجماعة يثبتون لله- عز وجل- ما أثبته لنفسه من الفوقية في قوله- عز وجل- : «يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ» ، ومن أثبت ذلك عند الجويني يعد مشبهًا.

ومن خلال هذا العرض لهذه النماذج من أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة التي وصموا فيها أهل السنة بالتشبيه، يتضح لنا أن القوم يعدون إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله- صلى الله عليه وسلم- تشبيهًا، وكل من إثبات مشبهًا.

والحق أن أهل السنة لم يزيدوا في الباب على أن قالوا كما قال ربهم وخالقهم عن نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ» فاثبتوا لله ما أثبت لنفسه من الصفات مع قطعهم بنفي المشابهة والمماثلة بين صفاته وصفات المخلوقات، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

والمشبهة هم الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه، كما قال الإمام إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد، وسمع كسمع»، أما إذا قيل: يد وسمع تليق بعظم الباري وجلاله من غير مشابهة أو مماثلة ليد وسمع المخلوق اللائق بعجزه وافتقاره؛ فلا يعد ذلك تشبيهًا.

وأهل السنة والجماعة من أشد الناس مقتًا للمشبهة والتشبيه لما قام في قلوبهم من جلالة الخالق وعظمته، مع إثباتهم ما ورد من صفات الجلال والكمال لله تعالى والتي ثبتت لله- عز وجل- ومن هنا يقول نعيم بن حماد (ت ٢٢٨ هـ): من شبّه الله بشيء من خلقه؛ فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه؛ فقد كفر، فليس في ما وصفه الله به نفسه ورسوله تشبيه»؛ لأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته.

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله؛ فهو كافر بالله العظيم.

وقد عقد الإمام اللالكائي بابًا في «سياق ما روي في تكفير المشبهة» نقل فيه من أقوال السلف في ذلك ما سبق ذكرنا بعضه؛ فكيف يقال بعد ذلك: أنهم مشبهة؟ بل التشبيه بنفاة الصفات ومؤوليها أشبه.

كما ذكر الإمام البخاري عن بعض أهل العلم: «أن الجهمية هم المشبهة؛ لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق ، وقالت الجهمية: هو كذلك لا يتكلم، ولا يبصر

> أهل السنة والجماعة من أشد الناس مقتًا للمشبهة والتشبيه لما قام في قلوبهم من جلالة الخالق وعظمته، مع إثباتهم ما ورد من صفات الجلال والكمال لله تعالى.

نفسه، وقالوا: إن اسم الله مخلوق».

وربما شبهوه بالمعدومات بقولهم: ليس هو فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا شمال ولا داخل العالم ولا خارجه ولا هو له ممازج ولا منفصل عنه.

٢- مجبرة:

وهذا اللقب نبزهم به المعتزلة والقدرية؛ وذلك لأن أهل السنة والأثر يقولون: كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا القول عند القدرية جبر؛ لأنه يرون أن أفعال العباد هم المحدثون لها وليست مخلولة لله، وأن أفعال الشر من الكفر والمعاصي تقع من العبد وهو المحدث لها من غير إرادة من الله ولا تقدير لها.

وكل من قال: إنها تقع بإرادة الله وقضائه وقدره عدوه جبريًا.

نقل الخياط المعتزلي (ت بعد ٣٠٠ هـ) عن أبي موسى المردار (ت ٢٢٦هـ) أن: «من وصف الله بأنه يقضي المعاصي على عباده ويقدرها فسفه لله في فعله، والمسفه لله كافر به، والشاك في قول المشبه والمجبر؛ فلا يدري أحق قول أم باطل، كافر بالله أيضًا». فلم يكتف المردار أن يرمي مثبت القدر بالجبر حتى عده كافرًا بل وعدى التكفير إلى من شك في كفره.

وعد القاضي عبد الجبار- (ت ٤١٥هـ) وهو من كبار مصنفي المعتزلة ومقرري أصولهم- كل من أثبت القدر مجبرًا فقال: «والذين يثبتون القدر هم المجبرة؛ فأما نحن فإنا ننفيه، وننزه الله تعالى أن تكون الأفعال بقضائه وقدره».

وهكذا نرى المعتزلة لا يترددون في إطلاق لقب المجبرة على من يثبت وقوع الأفعال بقضاء الله وقدره، ولذلك عد أئمة السلف من علامات القدرية «تسميتهم أهل السنة مجبرة» كما روى ذلك اللالكائي عن أبي حاتم، وقال الإمام أحمد: «وأما القدرية فيسمون أهل السنة مجبرة».

٣- ناصبة:

وهو من الألقاب الشنيعة التي رماهم به الرافضة، وهو لقب يطلقونه على كل من قدم أبا بكر وعمر وعثمان على علي- رضي الله عنهم- في الخلافة والفضل، سئل بعد الأئمة الشيعة عن «الناصب» هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه «الجبت» و«الطاغوت» واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب.

وهو من المناصبة وهي المعاداة؛ يقال: «ناصبه الشر والحرب والعداوة مناصبة: أظهره له».

وعند الرافضة: كل ما لما يبغض أبا بكر وعمر- رضي الله عنهما- فقد أبغض عليًا؛ لأنه لا ولاء لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم جعلوا كل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيًا.

ويبرز صاحب كتاب «الزينة» وجهًا آخر لإطلاق لقب «ناصبي» فيقول: «وروت الشيعة في قراءتهم أن جعفر بن محمد- رضي الله عنه- قرأ الآية في: «أَلَمْ نَشْرَحْ»: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ» بكسر الصاد.

وقالوا: إذا فرغت من إكمال الشريعة فانصب لهم عليًا إمامًا... فقالت الشيعة: لما أمر الله- عز وجل- بذلك نصب النبي- صلى الله عليه وسلم- عليًا وأشار إليه وأهله للإمامة، وقال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، فمن نازعه في الإمامة، ودعا إلى مخالفته، ونصب إمامًا بإزائه غيره؛ فقد ناصب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وآله؛ لأنه نصب عليًا وهذا نصب غيره وخذل عليًا وعاداه وترك نصرته وصار مع عدوه حربًا عليه، فهو مناصب لأنه ناصب النبي- صلى الله عليه وسلم».

وقال الإمام الجيلاني في ذلك: «وتسميها الرافضة ناصبية، لقولها باختيار الإمام ونصبه بالعقد» والرافضة لا ترى ذلك وإنما تذهب إلى أن الأئمة قد نص عليهم.

وسواء إن كان وجه التسمية هذا أو ذاك، فإنه لا يقع على أهل السنة؛ لأنهم يعتقدون موالاة وحب أهل البيت، وجميع أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم- ولا يناصبون أحدًا منهم العداء كما قال الإمام الطحاوي في عقيدته: ونحب أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحب الدين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

فقومٌ هذا اعتقادهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم أهل بيته، أيصح بعد ذلك أن يرموا بالنصب ومعادة أهل البيت؟! بل الأشبه أن يقع هذا اللقب على خصومهم الذين نبذوهم به؛ لأن الرافضة هم الذين ناصبوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداء، بل وقالوا بكفرهم وارتدادهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عدا قلة منهم تعد على الأصابع، هم الذين نجَوْا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من السنة هؤلاء الرافضة.

والحمد لله رب العالمين.

الإسلام دين وسط

وسطية الإسلام في الجهاد (٤)



نظرات في سيرة الرسول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فقد انتهينا في الحلقة الماضية عند الحديث عن وسطية الإسلام في الرفق بعصاة المسلمين مع ما اقترفوه من ذنوب، وبيَّنا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وفي هذا العدد نكمل حديثنا- إن شاء الله تعالى- فنقول:

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو ماض إلى أن تقوم السّاعة. ولا عزّة للأمة ولا فخرَ ولا سؤدد إلا بإقامة هذا الركن العظيم. وما تركت أمة الجهاد في سبيل الله إلا ذلّت وضعفت، وهانت على الله ومن ثمّ على خلقه.

ولقد انقسم الناس - قديمًا وحديثًا - في شأن الجهاد في سبيل الله إلى ثلاث طوائف:

١- فطائفة يغلب عليها الحماس، والاندفاع، والإقدام، ومن حرصها على ذلك أفرطت في أمر الجهاد، ولذلك وقعت في مزالق كبيرة، وكان لهذا الأمر من السّلبيات ما لا يخفى.

٢- وطائفة في مقابل هذه الطّائفة، فرّطت في الجهاد في سبيل الله، وتسعى دائمًا لإضاعة وإماتة هذا الرّكن العظيم، وإذا دعا داعي الجهاد، انتفضت خوفًا وفرقًا وذعُرًا، وذهبت تلتمس الأعذار للتخلّف والقعود.

٣- أمّا الطائفة الثالثة فهي التي توسّطت بين الطّائفتين، فأحَبت الجهاد، ورغبت فيه، وسعت إليه، ولكن ذلك لم يدفعهم لأن يستعجلوا الشيء قبل أوانه، ولذلك التزموا بالضوابط الشرعية في الإعداد للجهاد، وإعلانه، والاستمرار فيه. [الوسطية في ضوء القرآن الكريم ص٢٥٣ بتصرف].

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وتظهر وسطية هذا الدين في ميدان القتال؛ فمع أمر الإسلام لأتباعه بقتال أعدائه والإغلاظ عليهم كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» [التوبة: ١٢٣]. إلا أننا نراه يأمر بكف اليد عنهم إذا سالموا أهل الإسلام وصالحوهم؛ فقال تعالى: «وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [الأنفال: ٦١].

وجمع بين الأمرين في إشارة واحدة وهي: «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

وعند قتالهم ومعه نهى الإسلامُ عن أمور مهمة في معاملة هؤلاء الكافرين وهي كما جاء في الصحيح عن بُرَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّته بِتَقْوَى الله، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله، قاتلوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ

أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ...». [صحيح مسلم ١٣٥٧/٣].

وعن عبد الله بن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان. متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «انطلقوا بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين». رواه أبو داود.

بل إن الإسلام عَنَّفَ من أوليائه مَن تعقب الفارين من الكفار بالقتل إذا قالوا أي كلمة تدل على استسلامه للمسلمين ولو كانت في نظرهم حيلة حتى يتبينوا.

فعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وهو ماضٍ إلى أن تقوم الساعة. ولا عزة للأمة ولا فخر ولا سؤدد إلا بإقامة هذا الركن العظيم. وما تركت أمة الجهاد في سبيل الله إلا ذلت وضعفت، وهانت على الله، ومن ثمّ على خلقه.

الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [صحيح مسلم ٩٧/١].

ونهى الإسلام عند جهاد الأعداء عن قطع النخل والأشجار والإفساد في الأرض:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: رَخَّصَ لَهُمْ فِي قَطْعِ النَّخْلِ ثُمَّ شَدَّدَ عَلَيْهِمْ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيْنَا إِثْمٌ فِيمَا قَطَعْنَا أَوْ فِيمَا تَرَكْنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: «مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ» [الحشر: ٥]. [المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي ١١٥/٣].

وأمر بإكرام الأسرى وعدم تعذيبهم:

قال تعالى: «وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» [الإنسان: ٨].

٢١- الوسطية في استيفاء الحقوق الإدارية بين الرئيس والمرؤوس:

يشتهر بين كثير من الناس أفكار خاطئة مثل: لا تنصر الطالب على المدرس، ولا الجندي على القائد، وهكذا. لكن الإسلام أمر بنصر كل من يستحق النصرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا

رَسُولَ اللَّه، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». [صحيح البخاري ٢٢/٩] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

وفي الحروب قديما، كان يحدث أحيانًا قبل الحرب مبارزة بين فردين أو أكثر من الفريقين، وقد شرع الإسلام أن «مَن قَتَل قتيلاً فله سلبه» في مثل هذه الحالة، يعني يأخذ كل ما تركه المقتول من متاع، فحدث ذات مرة اختلاف بين أحد الجنود وبين قائده حول هذا الأمر، فانظر كيف حَكَمَ النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك!

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ (مُسلمٌ) مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ (مَتَاعَه)، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم لِخَالِد: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، فقَالَ صلى الله عليه وسلم: «ادْفَعْهُ إِلَيْه»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ عَوْفٌ بِرِدَائِه، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم؟ (يعني: جاء لك كلامي؟)، فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِه يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِه يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فيه فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ». [صحيح مسلم ١٣٧٣/٣].

٢٢- وسطية الإسلام في رعاية جميع طوائف المجتمع:

كل فرد في الأمة الإسلامية له مكانته وحقه واحترامه، وحدوده في نفس الوقت، لا تختلط حقوق الناس ببعضها البعض، ولا يبغي بعضهم على بعض. لا يعتدي قوم على قوم، ولا يسخر قوم من قوم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه ولا يحقره. للنفس حق، وللوالدين حق، وللأزواج حق، وللعلماء حق، وللجيران حق، وللأُخوَّة حق، وللصغير حق وللكبير حق، ولابد من إعطاء كل ذي حق حقه.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حقَّه». [مسند أحمد ٤١٦/٣٧]، صحيح لغيره.

> يشتهر بين كثير من الناس أفكار خاطئة مثل: لا تنصر الطالب على المدرس، ولا الجندي على القائد، وهكذا. لكن الإسلام أمر بنصر كل من يستحق النُّصرة.

وفي شأن الآباء والأبناء، والبنات والأخوات قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِه وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِه». [سنن الترمذي ٤٦١/٤] صحيح.

وقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ، اتَّقَى اللهَ فيهِنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ». [مسند أحمد ٤١٩/٣٩]، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه. صحيح لغيره.

من ذلك الوسطية في معاملة الوالدين غير المسلمَيْن:

لم يقتصر بر الوالدين في الإسلام على الوالد المسلم أو الأم المسلمة، بل الابن مطالب ببرهما حتى وإن كانا كافرين، وليس هذا فحسب، بل وإن جاهداه ليشرك بالله فعليه واجب برهما من غير طاعة لهما في الشرك.

قَال سعد بن أبي وقاص: « أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيَّ: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

﴿تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، قال: كُنْتُ رَجُلاً بَرًا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟، لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ ، حَتَّى أَمُوتَ ، فَتُعَيَّرَ بِي، فَيُقَال: يَا قَاتِل أُمِّهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ: إِنِّي لا أَدَعُ دِينِي هَذَا، أَوْ لَا أَدَعُ دِينَ هَذَا النَّبِيِّ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا لا تَأْكُلُ وَلَيْلَةً، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ أُجْهِدَتْ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لا تَأْكُلُ، فَأَصْبَحَتْ وَقَد اسْتُجْهِدَتْ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ يَا أُمَّاهُ: تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي، وَإِنْ شِئْتِ فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ». [حسن: أخرجه أحمد ١/١٨١، ومسلم مختصرا ١٧٤٨. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/٧٦، وأسد الغابة ٢/٢١٦].

وتظهر الوسطية هنا في أن الأبوين لو كانا كافرَيْن؛ فمع كفرهما لم يهمل الإسلام حقهما في الصحبة بالمعروف، ومع أنهما والدان نهى عن طاعتهما في الشرك.

سبحان الله!! غاية الرعاية للأبوين حتى مع شركهما وأمْرهما لولدهما بأن يشرك بالله، والله ما لأحد عذر في عقوق والديه، وإنه لخاسر وخائب، ومصيبته من أكبر المصائب.

ومن ذلك الوسطية في معاملة غير المسلمين:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». [صحيح مسلم ٤/٢٠٠٦].

وتظهر الوسطية هنا في أن المسلمين عليهم أن يحاربوا الكفار لكفرهم، ويغلظوا عليهم، ومع كفر الكفار وعداوتهم لله فلا يصلح أن يتجاوز المسلمون فيهم حدود الله، فإذا لم يقاتلوهم وألقوا إليكم السلم، «﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾» [النساء: ٩٠]، وقال: «﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾» [الممتحنة: ٨]، ولا يقطعوا بعدم توبتهم وفلاحهم في الآخرة، ومهما قيل مثل هذا الكلام في وقت الغضب فإن الله تعالى لن يوافق عليه، ولذلك راجَع نبيه فيه صلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء».

كل فرد في الأمة الإسلامية له مكانته وحقه واحترامه، وحدوده في نفس الوقت، لا تختلط حقوق الناس ببعضها البعض، ولا يبغي بعضهم على بعض.

ويشبه هذا ما جاء في حديث عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، حَدَّثَ «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَالله لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». أَوْ كَمَا قَالَ. [صحيح مسلم ح ٢٦٢١].

والوسطية هنا في أن الإسلام لا يريد من الدعاة والمنكرين على العصاة ألا يتجاوزوا الحدود معهم فيمنعوا عنهم رحمة الله، لأنهم إن قالوا ذلك واعتقدوه فسيخلف الله ظنهم ويغفر لذلك العاصي، ويحبط عمل الذي ظن أنه ناج منهما، بل يقفون الموقف الوسط والعدل فينكرون على العصاة ويغضبون من أفعالهم، وفي نفس الوقت لا يحكمون على آخرة أولئك العصاة بعدم الفلاح وعدم المغفرة.

وعن قواعد وأصول شرعية في التخفيف والوسطية، نتكلم عنها في عدد قادم بإذن الله.

والحمد لله رب العالمين.



قصة مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم

في إنذار عشيرته الأقربين

نواصل في هذا الدفاع تقديم البحوث العلمية الحديثية حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وغرَّهم أن القصة ذُكرت في بعض مصادر الحديث الأصلية عند أهل السنة مما يحتِّم علينا تخريجها وتحقيقها.

إعداد/ علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عَنْ أَبي أُمَامَةَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤] جَمَعَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم بَنِي هَاشِم، فَأَجْلَسَهُمْ عَلَى الْبَابِ، وَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ، فَأَجْلَسَهُمْ فِي الْبَيْتِ، ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «يَا بَنِي هَاشِم، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ، وَافْتَكُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّه، فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِه، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَيَا حَفْصَةُ بِنْتَ عُمَرَ، وَيَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّد، وَيَا أُمَّ الزُّبَيْرِ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، وَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ، فَإِنِّي لا أَطْلُبُ لَكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا، وَلا أُغْنِي»، فَبَكَتْ عَائِشَةُ، وَقَالَتْ: يَا حِبِّي، وَهَلْ يَكُونُ ذَلِكَ يَوْمَ لا تُغْنِي عَنَّا شَيْئًا؟ قَالَ: «نَعَمْ فِي ثَلاثِ مَوَاطِنَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ» [الأنبياء: ٤٧] الآيَتَيْنِ، فعند ذلك لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا، وَعِنْدَ النُّورِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَمَّ لَهُ نُورَهُ، وَمَنْ شَاءَ أَكَبَّهُ فِي الظُّلُمَاتِ، يَغُمُّهُ فِيهَا، فَلا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا، وَلا أُغْنِي لَكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ سَلَّمَهُ وَأَجَازَهُ، وَمَنْ شَاءَ لَيُكَبَّهُ فِي النَّارِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: أَيْ حِبِّي، قَدْ عَلِمْنَا الْمَوَازِينَ هِيَ الْكَفَّتَانِ، فَيُوضَعُ فِي هَذِهِ الشَّيْءُ فَيَرْجَحُ إِحْدَاهُمَا، وَيَخِفُّ الأُخْرَى، وَقَدْ عَلِمْنَا مَا النُّورُ، وَمَا الظُّلْمَةُ، فَمَا الصِّرَاطُ؟ فَقَالَ: «طَرِيقٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَجُوزُ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِثْلُ حَدِّ الْمُوسَى، وَالْمَلائِكَةُ صَافِّينَ يَمِينًا وَشِمَالا يَخْطَفُوهُمْ بِالْكَلالِيبِ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَأَفْئِدَتُهُم هَوَاءٌ، فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ سَلَّمَهُ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَيُكَبَّهُ فِيهَا».

ثانيًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/٢٦٨) (ح٧٨٩٠) قال: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: لما نزلت: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ» [الشعراء:٢١٤]، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم فأجلسهم على الباب.. القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: عثمان بن أبي العاتكة.

١- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٤١١/٤١٩/١٢): عثمان بن أبي العاتكة واسمه سليمان الأزدي أبو حفص الدمشقي القاصُّ، روى عن علي بن يزيد الألهاني وغيره، وروى عنه صدقة بن خالد وغيره، وقال ميمون بن الأصبغ: سألت أبا مسهر عنه، فقال: كان قاصًا فإن كان وهم فهو منه.

٢- وفي سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين (٥٤٨) قال: «قال لي يحيى بن معين: عفير بن معدان، وأبو مهدي سعيد بن سنان، وأبو حفص القاص، وعثمان بن أبي العاتكة، هؤلاء ليسوا بشيء». اهـ.

٣- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤١٦): «عثمان بن أبي العاتكة أبو حفص القاص:

ضعيف». اهـ.

٤- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٤/٥) (١٣٢٤/٣٥٦): عثمان بن أبي العاتكة أبو حفص القاصّ دمشقي ثم أخرج ما جاء في سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي للإمام يحيى بن معين عن عثمان بن أبي العاتكة فقال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: قلت ليحيى بن معين فعثمان بن أبي العاتكة؟ قال: ليس بشيء. اهـ.

وأخرج ابن عدي حديثًا من منكراته قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي عاتكة أبو حفص القاص، عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي إمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنوا الكبر؛ فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله عز وجل: اكتبوا عبدي هذا في الجبارين».

قال ابن عدي: «وبهذا الإسناد ثلاثون حديثًا حدثناه ابن عاصم عامتها ليست بمستقيمة». اهـ.

قلت: والخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية جاء بهذا الإسناد حيث قال الإمام الطبراني حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي، حدثنا هشام بن عمار به، وبهذا يتبين أن هذه القصة ليست بمستقيمة.

العلة الثانية: علي بن يزيد:

١- قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٧٣٨/٤٢٤/١٣): «علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني، ويقال: الهلالي: أبو عبد الملك المشاقي الدمشقي، روى عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي نسخة كبيرة، وروى عنه عثمان بن أبي العاتكة وآخرين، وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث».

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٨/١/٣): «علي بن يزيد الألهاني الدمشقي أبو عبد الملك روى عن مكحول والقاسم أبي عبد الرحمن سمعت أبي يقول ذلك، وسألت أبي عن علي بن يزيد فقال: ضعيف الحديث حديثه منكر». اهـ.

٣- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٢٥٥): «علي بن يزيد أبو عبد الملك الألهاني الدمشقي: منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه؛ حيث ذكره الحافظ السيوطي في «التدريب» (٣٤٩/١) قال: «البخاري يطلق (فيه نظر) و(سكتوا عنه) فيمن تركوا حديثه، ويطلق: (منكر الحديث) على من لا تحل الرواية عنه». اهـ قلت: وهذا بيان ما جاء عن البخاري في علي بن يزيد.

٤- قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٢٢): «علي بن يزيد الدمشقي أبو عبد الملك، يروي عن القاسم، متروك الحديث». اهـ.

وهذا المصطلح له معناه، ولقد بيّن الحافظ ابن حجر في شرح النخبة (ص٧٣) هذا المصطلح بالنسبة للإمام النسائي حيث قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٥- قال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٠٧): «علي بن يزيد الدمشقي أبو عبد الملك عن القاسم». اهـ.

قلت: و بمجرد ذكر اسم علي بن يزيد الدمشقي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» يعني أنه متروك عند الأئمة أبي بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني، وأبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حمكان، وأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني كما هو مقرر بينهم، و في «مقدمة الضعفاء والمتروكين» للدارقطني حيث قال الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع ابن حمكان لأبي الحسن الدار قطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

العلة الثالثة: القاسم بن عبد الرحمن:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٨١٧/٣٧٣/٣): القاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الدمشقي، مولى آل معاوية وصاحب أبي أمامة، قال الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب وما أراها إلا من قبل القاسم.

٢- قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢١١/٢): القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كنيته أبو عبد الرحمن، كان ممن يروي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعضلات، ويأتي عن الثقات بالمقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المعتمد لها.



ثم قال: أخبرنا مكحول قال: سمعت جعفر بن أبان قال: سمعت أحمد بن حنبل، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية، فقال: منكر الحديث، ما أرى البلاء إلا من قبل القاسم. اهـ.

قلت: هذه ثلاثة علل كل منها يزيد سند القصة وهنًا على وهن، منهم من يروي المعضلات والأعاجيب

منكر الحديث، ومنهم المتروك الذي لا تحل الرواية عنه ذاهب الحديث، ومنهم الذي ليس بشيء.

وبهذا يتبين أن القصة واهية والخبر باطل، والجرح مركب من العلل الثلاثة، ولا يمكن قصر الجرح على علة واحدة.

فائدة:قلت: فإلزاق الجرح بعلي بن يزيد وحده لا يتهيأ كما يفعل البعض عند التحقيق، فدونه عثمان بن أبي عاتكة الذي ليس بشيء، وفوقه القاسم بن عبد الرحمن منكر الحديث يروي المعضلات والأعاجيب.

وهذا ما بيّنه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٠/٢) قال: «علي بن يزيد أبو عبد الملك الألهاني أكثر روايته عن القاسم أبي عبد الرحمن وهو ضعيف في الحديث جدًا». اهـ.

والذي روى عن علي بن يزيد عثمان بن أبي عاتكة ضعيف ليس بشيء كما بينا آنفًا كذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان: «فلا يتهيأ إلزاق الجرح من علي بن يزيد وحده؛ لأن الذي يروي عنه ضعيف، والذي روى عنه واه، ولسنا ممن يستحل إطلاق الجرح على مسلم من غير علم، عائذ بالله من ذلك، وعلى جميع الأحوال يجب التنكب عن روايته؛ لما ظهر لنا عمن فوقه ودونه من ضد التعديل، ونسأل الله جميل الستر بمنه. اهـ.

رابعًا: بيان نكارة القصة متنًا:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ص١١١): «ونحن ننبه على أمور كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعًا»، فقال رحمه الله في التنبيه (١٩):

«ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل».

فهذه القصة فيها من القرائن التي يُعلم بها أنها باطلة ، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء:٢١٤] وهي مكية.

٢- في القصة: «جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني هاشم فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت ثم اطلع عليهم، فقال: «يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتروا أنفسكم واسعوا في فكاك رقابكم، فإني لا أطلب لكم من الله شيئًا ولا أغني»، فبكت عائشة وقالت: يا حبي وهل يكون ذلك يوم لا تغني عنا شيئًا. اهـ.



٣- من القرائن التي تدل على أنها باطلة ما ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (١١٤٥٧/١٦/٨) قال: «عائشة بنت أبي بكر الصديق دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت تسع، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى وقيل في السنة الثانية من الهجرة». اهـ.

٤- وأما حفصة بنت عمر بن الخطاب قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١١٠٤٧/٥٨١/٧): «كانت قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عند خنيس بن حذافة وكان ممن شهد بدرًا ومات بالمدينة وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عائشة». وقال الحافظ: «تزوجها سنة ثلاث من الهجرة، وهو الراجح لأن زوجها قتل بأحد سنة ثلاث». اهـ. فكيف يتأتى أن يجمع نساءه في البيت بمكة ومن بينهن حفصة بنت عمر بن الخطاب؟ حيث إن الآية مكية.

٥- وفي القصة الواهية لما جمع نساءه في البيت نادى وقال: يا أم سلمة عندما نزلت الآية ولقد قال الحافظ في الإصابة (١٢٠٦١/٢٢١/٨): «أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة كانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة فمات عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة». فأين أم سلمة عندما نزلت الآية بمكة؟!

٦- ولقد نبه الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (١٦) من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعًا ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويدفعها الطبع، ومنها في هذه القصة الواهية قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا حبي»، ثم تكرر (أي حبي) في وقت إنذار وأبو لهب يقول: تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، والله يؤيد نبيه فنزلت: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ».

فالآية مكية وإنذار النبي صلى الله عليه وسلم لعشيرته في مكة، وكما بينا في الصحيحين لما نزلت: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي... الحديث.

فإن من أمحل المحال وأبطل الباطل أن يجمع نساءه في البيت بمكة؛ حيث الآية مكية وأين عائشة يوم نزلت هذه الآية؟!

بل وعائشة رضي الله عنها تكذب هذه القصة فقد أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٠٥) قال: حدثنا

محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع ويونس بن بكير، قالا: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: لما نزلت: « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ » [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: يَا فاطمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد يَا صَفيَّةُ بِنْتَ عَبْد المُطلب يَا بَنِي عَبْد المُطَّلب لا أَمْلكُ لَكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا سَلُوني منْ مَالِي مَا شئْتُمْ. وقد أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٧/٦) (ح٢٥٥٧٦) قال: حدثنا وكيع به.

وأخرج الإمام الترمذي في «السنن» (٤٨٠/٤) (ح٢٣١٠) (٣١٦/٥) (ح٣١٨٤) قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي حدثنا هشام بن عروة به، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه الإمام النسائي في «السنن» (٢٥٠/٦) قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أنبأنا أبو معاوية، قال: حدثنا هشام وهو ابن عروة به.

وأخرجه الإمام البيهقي في «السنن» (٢٨٠/٦) قال: وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المهرجاني بن أبي علي السقا، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد هو ابن زياد القطان، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا وكيع بن الجراح به.

ثم قال: رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن عبد الله بن نمير عن وكيع.

فائدة على المستخرجات:

قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث» (ص١٨): «المستخرج موضوعه: أن يأتي المصنف إلى كتاب البخاري أو مسلم فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق البخاري أو مسلم فيجتمع إسناد المصنف مع إسناد البخاري أو مسلم في شيخه أو من فوقه». اهـ.

قلت: ومن أشهرها: «المستخرج لأبي بكر الإسماعيلي على البخاري» و«المستخرج لأبي عوانة الإسفراييني على مسلم» و«المستخرج لأبي نعيم الأصبهاني على كل منهما».

قلت: ونبين لطالب علم أصول الحديث العلاقة بين ما نقلناه عن الإمام البيهقي في بحثنا هذا وبين المستخرجات:

قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٤٧/١): «ثم إن أصحاب المستخرجات غير منفردين بصيغهم، بل أكثر المخرجين للمشيخات والمعاجم، وكذا الأبواب يوردون الحديث بأسانيدهم، ثم يصرحون بعد انتهاء سياقه غالبًا بعزوه إلى البخاري أو مسلم، أو إليهما معًا، مع اختلاف الألفاظ وغيرها دون أصله».

لذلك قال العراقي في «فتح المغيث» (ص٢٠): «فهذا البيهقي في «السنن الكبرى» و«المعرفة» وغيرهما والبغوي في «شرح السنة» وغير واحد يروون الأحاديث بأسانيدهم ثم يعزونها إلى البخاري أو مسلم».

خامسًا: بدائل صحيحة:

١- لقد بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب التفسير سورة الشعراء باب رقم (٢) ترجم له «باب وأنذر عشيرتك الأقربين» [الشعراء: ٢١٤] الحديث (٤٧٧٠) قال الإمام البخاري: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْص بْن غيَاث حَدَّثَنَا أَبي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَني عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ عَنْ سَعيد بْن جُبَيْر عَنْ ابْن عَبَّاس رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ) صَعدَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادي: يَا بَني فهْر يَا بَني عَديٍّ لبُطُون قُرَيْش حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا ليَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَب وَقُرَيْش، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بالْوَادي تُريدُ أَنْ تُغيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صدْقًا. قَالَ: فَإنِّي نَذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَاب شَديد. فَقَالَ أَبُو لَهَب: تَبًّا لَكَ سَائرَ الْيَوْم، أَلهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبي لَهَب وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. اهـ.



٢- رواية أخرى للقصة الصحيحة:

أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» ح٤٧٧١ قال: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرنا سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم حينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ) قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش أَوْ كَلمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا بَني عَبْد مَنَاف: لا أُغْني عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْد المُطَّلب لا أُغْني عَنْكَ منَ اللَّه شَيْئًا، وَيَا صَفيَّةُ عَمَّةَ رَسُول اللَّه لا أُغْني عَنْك منَ اللَّه شَيْئًا، وَيَا فَاطمَةُ بنْتَ مُحَمَّد سَليني مَا شئْت منْ مَالي لا أُغْني عَنْك منَ اللَّه شَيْئًا. اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه من تطبيق لعلم أصول الحديث حتى يتبين الطيب من الخبيث.

وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٣)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

القرائن اللغوية على إثبات صفة (الوجه) لله تعالى

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من والاه.. وبعد:

فيرى متأخرو الأشاعرة ومن قبلهم فِرَق المعتزلة والجهمية، صرف صفة (الوجه) الوارد ذكرها في كثير من النصوص عن حقيقتها، وقد ظهر لهم في ذلك عدة اتجاهات:

فمنهم من يرى أن هذه الصفة صفة زائدة عن الذات، بينا يرى فريق أنها مجاز عنها؛ بما يعني تعطيلها، ويرى آخرون أنها تخييل، ويرى غيرهم أنها بمعنى الوجود، وغيرهم على أنها تمثيل وتصوير للمعاني العقلية بإبرازها في الصور الحسية.. والغريب في الأمر أن جميعهم يرى في كل ذلك تنزيهًا للخالق جل وعلا عن مشابهة الحوادث، وأنهم ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه لنفي وهم التشبيه والتجسيم.

والحق أن جميع ما فاهوا به يصبّ في دائرة نفي الصفة، ويجعلهم في مصافّ المعطلة ومن نحا نحوهم من فرق الضلال.. كما أنه يَرِدُ عليه:

أولاً: أن القول في (الوجه) بالمجاز على النحو الذي نقلناه عمن سبق، يستلزم كون قدرته وإرادته وعلمه وحياته وبصره وسمعه وسائر صفات المعاني الوجودية، مجازاً.. إذ دلالة السمع والعقل على إثبات حقيقة هذه كدلالتهما على إثبات حقيقة تلك، ولا فرق.

ثانياً: أن القول بأن لفظ (الوجه) مجاز على الإطلاق، باطل.. لأن المجاز لا يمتنع نفيه، فعلى هذا لا يمتنع أن يقال: (ليس لله وجه)، أو (لا حقيقة لوجهه)، وهذا تكذيب صريح لما أخبر تعالى به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله.

ثالثا: كما أن جعل الوجه بمعنى (الذات) أو (الثواب) أو (القبلة) مطلقاً، خروج عن الأصل والظاهر بلا موجب ولا قرينة، وأن هذا يتضمن: إلغاء وجهه لفظاً ومعنى، وأن لفظه زائد ومعناه منتف، كل هذا أيضاً بلا موجب ولا قرينة.

رابعاً: أن الوجه حيث ورد مضافاً إلى الذات، فإنه يُحمل حتماً في جميع موارده على الحقيقة دون المجاز، والمضاف إلى الرب نوعان: أعيان قائمة بنفسها كبيت الله وعبدالله، وهي إضافة مملوك لمالكه. والثاني: صفات لا تقوم بنفسها كعلم الله وحياته وسمعه وبصره ووجهه، فهذه إذا وردت مضافة إليه فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها، وهذه الإضافة تنفي أن تكون صفة (الوجه) حشواً في الكلام.. ولا أدل على ذلك مما أورده أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم)، فيقرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات واستعاذته بالوجه الكريم، وهذا نص صريح في مغايرة الوجه للذات، ودليل قاطع على إبطال قول من قال في الوجه بالمجاز. (ينظر: مختصر الصواعق المرسلة ٢٩٩).

خامساً: أن دعوى زيادة الصفة في سياق الآيات الواردة فيها تلك الصفة، كذبٌ على الله وعلى رسوله وعلى اللغة، فإن هذه الكلمة ليست مما عُهد

زيادتها، كما أن القول بزيادتها تسيغ لمعطِّل آخر أن يدّعي الزيادة في قوله عليه السلام: (أعوذ بعزة الله وقدرته) ويكون التقدير: (أعوذ بالله)، ويدعي ثالث الزيادة في قدرته وسمعه وبصره.. وهكذا، وهذا من أبطل الباطل.

سادساً: ما ذكره الخطابي والبيهقي: من أنه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه فقال: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/ ٢٧)، دل على أن قوله: (ذو الجلال والإكرام) صفة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.. وعليه فلو كان الوجه هو الذات - على الإطلاق كما زُعم - لكانت القراءة: (ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام)، يعني بالياء في (ذو) بدل الواو، كما قال تعالى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن/ ٧٨).. فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعاً، تبين أن القصد هو الإخبار عنه سبحانه، وأن الوجه صفة للذات وليس هو الذات.. كما دل خفض (ذي) في قوله بعد: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)، على أن المقصود عين المسمى دون الاسم. هذا من ناحية، وعلى تغاير الصفة عن الذات الموصوفة بها فلا تكون إحداهما تفسيراً للأخرى، هذا من ناحية ثانية، وعلى ثبوتهما له تعالى معاً من ناحية ثالثة. [ينظر في كل ما سبق من ردود: الاعتقاد للبيهقي ص ٦٩ ومختصر الصواعق ص ٤١٨ ومعارج القبول ١/ ٢٩٠].

سابعاً: أن ما نطقوا به، هو عينه ما قال به قادة المعتزلة ورؤساؤهم من أمثال بشر المريسي وغيره.. وقد تضافرت ردود أهل العلم على دحضها، لاستلزام نفيهم: جعل صفاته تعالى مخلوقة.. من ذلك ما ذكره عثمان بن سعيد الدارمي - بعد أن حكى قول المريسي في شرحه لحديث: (إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه): بأن يُقبل عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله وما أوجب للمصلي من الثواب، ليكون قوله (ويبقى وجه ربك..) (الرحمن/ ٢٧) يعني لديه: ما تتوجه به إلى ربك من الأعمال الصالحة - قال الدارمي:

«لما فرغ المريسي من إنكار اليدين ونفيهما عن الله، أقبل قِبَل وجه الله لينفيه عنه كما نَفى عنه اليدين، فلم يدع غاية في إنكار وجه الله والجحود به، حتى ادعى أن (وجه الله) الذي وصفه بأنه (ذو الجلال والإكرام): مخلوق؛ لأنه ادعى أن وجهه سبحانه الموصوف بما ذكر: أعمالٌ مخلوقة يُتوجه بها إليه، وثوابٌ وإنعامٌ مخلوقان يُثيب تعالى بهما العامل، وزعم أنه: قبلة الله - كذا على الإطلاق أيضاً - وقبلة الله لا شك مخلوقة».. ثم ساق الكلام في الرد عليه.

ثامناً: ما ورد من نصوص الوحي كتاباً وسنة.. فقد دل ما جاء منها في مقام دعائه عليه السلام وسؤاله وتضرعه، على أن الدعاء بوجهه أعظم وأبلغ من السؤال به، وأن هذا مغاير لذاك.

تاسعاً: أن ما قيل من إطلاق اسم (الوجهة) على القبلة في نحو قوله تعالى: (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) (البقرة/ ١٤٨)، وأنها قد تسمى (جهة) وأصلها: (وجهة)، لكن أعلت بحذف أوله كـ (زنة)، و(عدة)، وأنها سميت بهما؛ لأن الرجل يقابلها ويواجهها بوجهه.. جوابه: أن السياق في الآية - وقبلها قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ

إن إثبات صفة الوجه لله وحملها على الحقيقة هو مذهب أهل السنة والجماعة، وإن حملها على المجاز تكذيب لله ولرسوله وللغة.

وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ) (البقرة/ ١١٥) - لا تعرُّض فيه للقبلة ولا لحكم الاستقبال، وإنما هي في بيان عظمة الخالق وأنه محيط بالعالم، وأنه أكبر وأعظم من كل شيء، ثم بيان ما يدل على سعة علمه وإحاطته، وهذا - عند من أثبت الصفة، وارتآه - غير ممتنع.. فإذا ما أضيف لهذا: ما عُلم بالفطرة والشرع من أن الله تعالى فوق العالم، عالٍ على جميع مخلوقاته بكل اعتبار، عُلِم يقيناً أن من استقبل جهة من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب أو بين ذلك، هو متوجه إلى ربه حقيقة، والله قِبَل وجهه إلى أيّ جهة صلى، ولا يُتوهم تنافي هذين الأمرين بل اجتماعهما هو الواقع.

عاشراً: أن احتجاجهم في تأويل (الوجه) بالذات، بوروده في نحو قولهم: (وجه الحائط) و(وجه الثوب) و(وجه النهار) و(وجه الأمر).. لا مطمع من ورائه؛ ذلك لأن مراده: (أحد جانبيه)، فهو مقابل لدبره، ومثل هذا (وجه الكعبة ودبرها).. فهو وجهٌ حقيقة، ولكنه بحسب المضاف إليه، فلما كان المضاف إليه بناء، كان وجهه من جنسه، وكذا إن أضيف إلى حيوان كان بحسبه، وإن أضيف إلى ثوب أو حائط كان بحسبه.. وإن أضيف إلى من (ليس كمثله شيء) كان وجهه تعالى كذلك، وعلى النحو الذي يليق بجلاله.. أما استخدام (الذات) في معنى (الوجه) - كذا على الإطلاق - أو جعل وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه أيضاً على الإطلاق، فهذا لا يُعرف في لغة من لغات الأمم، وقد اكتفيت بهذه الأوجه ولمزيد من التوسع: [ينظر: مختصر الصواعق ٤١٧: ٤١٩ والعقائد السلفية لآل بوطامي ٩٤: ٩٧ ولسان العرب (مادة: وجه)] فقد ذكروا ما يقارب العشرين وجها وزيادة.

تفسير الوجه بالذات أو بما احتمله السياق عند من يثبت الصفة، لا يعني تأويله ولا صرفه عن ظاهره:

على أن ما ذكرنا من أنه لا يُعرف في لغة من لغات الأمم استخدام الذات في معنى (الوجه)، ولا جعل وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه.. قد يطرأ عليه من دلالات السياق ما يفيده ويُسوِّغ حمله عليه، شريطة ألا يجعل ذلك أصلاً في الدلالة على معنى الصفة، وأن يقع ممن أثبت (الوجه) لله ولم ينفها.. إذ ثمة فرق بين التفسير الذي يعني حمل المعنى على ظاهره، والتأويل الذي يعني صرفه عن ظاهره.. وقد سبق أن ذكرت في حلقة سابقة أن البخاري فَعل ذلك عندما عقد باباً في إثبات (الوجه) لله مستدلاً بآية الرحمن ذاتها، وساق من الأحاديث ما يوضح أن تفسير (الوجه) بـ (الذات) لا ينافي إثبات صفة الوجه، باعتبار أن الشيء قد يعبر عنه ببعض صفاته، وبما يعني: أن الذي يُنكر في هذا المقام، هو: تعطيل صفة الوجه لله تعالى.

وعليه فقوله تعالى: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) (القصص/ ٨٨) المراد به: ذاته المتصفة بالصفات العلى ومنها (الوجه)، وإنما عبر القرآن عن ذلك بذكر صفة من صفاته، وهي: وجهه تعالى.. قال الحافظ ابن كثير - في تفسيره لآية القصص بعد أن ساق قول مجاهد والثوري بأن المراد من الآية: «إلا ما أريد به وجهه» يعني: من الأعمال الصالحة -: «وهذا القول، لا ينافي القول الأول - يعني:

> **إن تفسير الوجه بالذات -والذي فعله الإمام البخاري- لا ينافي إثبات صفة الوجه لله تعالى، إذ ثمة فرق بين هذا التفسير وبين التأويل الذي يعني صرفه عن ظاهره.**

تفسيره (الوجه) بـ (الذات) - فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه: أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى، فإنه الأول والآخر، الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء».

وفي إساغة كل ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين في شرحه على الواسطية ص ١٧٦: إنه «على طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه، نقول: يمكن أن نحمل الآية على المعنيين، إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا، فيقال: (كل شيء يفنى إلا وجه الله)، و(كل شيء من الأعمال يذهب هباء إلا ما أريد به وجه الله)، وعلى أي التقديرين، ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله، وهو من الصفات الذاتية الخبرية - يعني: التي مسماها موهم لدى المتكلمة للأبعاض والأجزاء - ولا نقول: من الصفات المعنوية، ولو قلنا بذلك لكنا نوافق مَن تأوله تحريفاً، ولا نقول: إنها بعض من الله أو جزء من الله، لأن ذلك يُوهم نقصاً له سبحانه».

والشيء بالشيء يُذْكَر، فمما اختلف فيه الأئمة المعتبرون، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة/ ١١٥)، فقد ذهب بعضهم إلى أن المراد به: (الجهة)، استناداً إلى أن الآية نزلت في حالة السفر إذا صلى الإنسان النافلة، أو اشتبهت عليه القبلة، فإنه يتحرى ويصلي حيث كان وجهه.. وهذا لما كان لهم فيه مندوحة لدلالة السياق عليه، لم يجد مجاهد والضحاك والشافعي غضاضة في أن يشيروا إلى أن المراد بـ (الوجه) هنا: «قبلة الله»، أو «فثم الوجه الذي وجَّهكم الله إليه».. ذلك أن أكثر السلف على أن الآية أصلاً ليست من آيات الصفات ففسروها بما ذكر.. وإن كان بعضهم قد ذهب إلى أن المراد بالوجه، وجه الله حقيقة، باعتبار أن المعنى: (إلى أية جهة تتوجهون فثم وجه الله)، لأنه سبحانه المحيط بكل شيء.

والمحصلة - على حد ما جاء في شرح الواسطية ص ١٧٨- هو أن «هذا معنى صحيح موافق للظاهر، والمعنى الأول لا يخالفه في الواقع، ذلك أنا إذا قلنا: (فثم جهة الله)، وكان هناك دليل، سواء كان هذا الدليل تفسيرَ الآية.. أو كان الدليل ما جاءت به السنة - من أن المصلي إذا قام يصلي فإن الله قِبَل وجهه - فإنك إذا توجهت في صلاتك، فهي جهة الله التي يَقبل الله صلاتك إليها، فثم أيضاً وجه الله حقاً، وحينئذ يكون المعنيان لا يتنافيان»، ولعل هذا ما عناه ابن أبي العز بقوله في شرح عقيدة الشيخ الطحاوي ص ١٥٩: «الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، لا تُطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قُبل.. والشيخ - حين نفى الجهة عن الله - أراد الرد على المشبهة كداود الجواربي وأمثاله».. والمهم أنه ومع تعدد الآراء الصادرة عن سلف الأمة في كلٍ ما ذكرنا، إلا أنك لا تجد في أيٍ منها إنكاراً ولا نفياً ولا جحداً لصفة الوجه الثابتة له جل وعلا، خلافاً لما عليه أهل الأهواء والضلال من الجهمية والمعتزلة ومن تأثر بهم من أهل الكلام.

إنه مع تعدد الآراء الواردة عن سلف الأمة حول فهمهم لصفة الوجه في النصوص المختلفة التي وردت بها لا تجد في أي منها إنكاراً ولا جحداً لهذه الصفة، خلافاً لما عليه أهل الأهواء.

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

هذه دعوتنا

سبب الاختلاف والحيرة حول الكتاب والسنة

الحلقة الثانية

المحدث العلامة
محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه، وبعدُ:

فبعد أن انتهينا في الحلقة الماضية من تأصيل هام ألا وهو: إن دعوتنا تقوم على ثلاثة أركان: تقوم على الكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح، وأنا أعتقد أن سبب الخلاف الكثير المتوارث في فِرَق معروفة قديمًا، والخلاف الناشئ اليوم حديثًا هو عدم الرجوع إلى هذا المصدر الثالث، وهو السلف الصالح.

من عادتي أن أضرب بعض الأمثلة لتوضيح هذه المسألة، بل هذا الأصل المهم، وهو على «منهج السلف الصالح»، هناك كلمة تُروَى عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «إذا جادلكم أهل الأهواء والبدع بالقرآن، فجادلوهم بالسُّنة، فإن القرآن حَمّال وجوه».

لماذا قال عمر هذه الكلمة؟ أقول: يبين ذلك قول الله عز وجل مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» [النحل:٤٤]، تُرى هل يستطيع مسلم عربي- هو كما يقال: سيبويه زمانه في المعرفة باللغة العربية وأدبها وأسلوبها- هل يستطيع أن يفهم القرآن من غير طريق رسولنا صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: لا، وإلا كان قوله تعالى: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» [النحل:٤٤] عبثًا، وحاشا كلام الله أن يكون فيه أي عبث، إذن من أراد أن يفهم القرآن من غير طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ضل ضلالًا بعيدًا، ثم هل بإمكان ذلك الرجل أن يفهم القرآن والسنة من غير طريق أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام؟

الجواب- أيضًا-: لا؛ ذلك لأنهم هم الذين نقلوا إلينا:

أولا: لفظ القرآن الذي أنزله الله على قلب محمد صل الله عليه وسلم.

ثانيًا: نقلوا لنا بيانه صلى الله عليه وسلم الذي ذُكر في الآية السابقة، وتطبيقه عليه الصلاة والسلام لهذا القرآن الكريم، هنا لا بدّ لي من وقفة، أرجو أن تكون قصيرة.

اللغة وحدها ليست كافية لفهم القرآن والسنة

بيانه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أنواع: لفظ وفعل وتقرير.

فلفظه: من الذي ينقله؟ أصحابه.

وفعله: من الذي ينقله؟ أصحابه.

وتقريره: من الذي ينقله؟ أصحابه.

من أجل ذلك لا يمكننا أن نستقل في فهم الكتاب والسنة على مداركنا اللغوية فقط، بل لا بد أن نستعين على ذلك بما نقله الصحابة، لا يعني هذا أن اللغة نستطيع أن نستغني عنها، لا، ولذلك نحن نعتقد

جازمين أن الأعاجم الذين لم يتقنوا اللغة العربية وقعوا في أخطاء كثيرة وكثيرة جدًا، وبخاصة إذا وقعوا في هذا الخطأ الأصولي، وهو عدم رجوعهم إلى السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة.

لكننا نقول: إن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور في الآية السابقة هو على ثلاثة أقسام: قول وفعل وتقرير، لنضرب مثلاً أو أكثر: إذا اضطررنا إليه لنستوعب أن هذا التقسيم هو الأمر الواقع ما له من دافع: قوله تبارك وتعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» [المائدة:٣٨]، السارق- انظروا الآن كيف لا يمكننا أن نعتمد في تفسير القرآن على اللغة فقط- السارق لغةً: هو كل من سرق مالاً من مكان حرين، مهما كان هذا المال، ليس ذا قيمة، سرق بيضة- مثلاً- سرق فلسًا، قرشًا، هذا لغةً: سارق، قال الله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» [المائدة:٣٨].

فهل كل من سرق تُقطع يده؟ الجواب: لا. لِمَ؟ لأن المبيِّن الذي تولى بيان المُبَيَّن- المبيِّن رسول الله، والمُبَيَّن كلام الله- قد بيَّن لنا رسول الله مَن الذي تقطع يده من السارقين، فقال: «لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدًا». [صحيح ابن حبان (٤٤٦٥)].

فمن سرق أقل من رُبع دينار- وإن كان يُسمى لغةً: سارقًا- ولكنه لا يُسمى شرعًا سارقًا، إذن هناك لغة عربية متوارثة ولغة شرعية، الله اصطلح عليها لم يكن العرب الذين يتكلمون بلغة القرآن التي نزل بها القرآن ما كانوا يعرفون من قبل مثل هذا الاصطلاح، فإذا أطلق السارق لغةً: شمل كل سارق، أما إذا ذُكر السارق شرعًا، فلا يشمل كل سارق، وإنما من سرق ربع دينار فصاعدًا.

إذن هذا مثال واقعي أننا لا نستطيع أن نستقل في فهم الكتاب والسنة على معرفتنا باللغة العربية.

لذلك نقول: يجب أن نفهم أن دعوة الإسلام الحق هي قائمة على ثلاثة أصول وعلى ثلاث قواعد: الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح، «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ» [المائدة:٣٨]، إذن لا تُفسر هذه الآية على مقتضى اللغة، وإنما على مقتضى اللغة الشرعية التي قالت: «لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدًا»، ثم قال في تمام الآية: «فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» [المائدة:٣٨]، ما هي اليد في اللغة؟ هي من الأنامل إلى الإبط، فهل تقطع من هنا أم من هنا أم من هنا؟ بيَّن ذلك الرسول بفعله، ليس عندنا هناك حديث صحيح- كما جاء في تحديد السرقة التي يستحق السارق أن تُقطع يده من أجلها، ليس عندنا حديث- يحدد لنا مكان القطع من بيانه القولي، وإنما عندنا بيان

يجب أن نفهم أن دعوة الإسلام الحق قائمة على ثلاثة أصول وعلى ثلاث قواعد: الكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح.

فعلي تطبيقي عملي، من أين نعرف هذا التطبيق؟ من سلفنا الصالح أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو القسم الثاني وهو البيان الفعلي.

القسم الثالث: إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم للشيء لا يُنكره ولا ينهى عنه، هذا الإقرار ليس قولاً منه، ولا فعلاً صدر منه، إنما هذا الفعل صدر من غيره، كل ما صدر منه أنه رأى وأقر، فإذا رأى أمرًا وسكت عنه وأقره صار أمرًا مقررًا جائزًا، وإذا رأى أمرًا فأنكره- ولو كان ذلك الأمر واقعًا من بعض الصحابة- ولكن ثبت أنه نهى عنه حينئذ هذا الذي نهى عنه يختلف كل الاختلاف عن ذاك الذي أقره، وهاكم المثال للأمرين الاثنين- وهذا من غرائب الأحاديث-: يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنهما-: كنا نشرب ونحن قيام، وناكل ونحن نمشي في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. [صحيح الترمذي: ١٨٨٠]. تحدث عبد الله في هذا الحديث عن أمرين اثنين:

- عن الشرب من قيام.
- وعن الأكل ماشيًا.

وأن هذا كان أمرًا واقعًا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فما هو الحكم الشرعي بالنسبة لهذين الأمرين: الشرب قائمًا والأكل ماشيًا؟ إذا طبقنا كلامنا السابق نستطيع أن نأخذ الحكم طبعًا بضميمة لا بدَّ منها، وهي: من كان على علم بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولًا وفعلاً وتقريرًا، فإذا رجعنا إلى السنة الصحيحة فيما

يتعلق بالأمر الأول الذي ابتُلي كثير من المسلمين- إن لم أقل ابتُلي به أكثر المسلمين- بمخالفة قول الرسول الكريم، ألا وهو الشرب قائمًا، كانوا يشربون قيامًا، كانوا يلبسون الذهب، كانوا يلبسون الحرير، هذه حقائق لا يمكن إنكارها، لكن هل أقرَّ الرسول ذلك؟

الجواب: أنكر شيئًا وأقرَّ شيئًا، فما أنكره صار في حدود المُنكر، وما أقرَّه صار في حدود المعروف، فانكر الشرب قائمًا في أحاديث كثيرة،وهذه المسألة لوحدها تحتاج إلى جلسة خاصة، لكن حسبي أن أروي لكم حديثًا صحيحًا، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه [برقم: ٢٠٢٤] من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائمًا». وفي لفظ: «زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب قائمًا».

إذن هذا الذي كان يُفعل بشهادة حديث ابن عمر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى هو عنه، فصار ما كانوا يفعلونه أمرًا ملغيًا بنهي الرسول عنه، لكن الشطر الثاني من الحديث- وهو: أنهم كانوا يأكلون وهم يمشون- ما جاءنا نهيٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفدنا من هذا الإقرار حكمًا شرعيًا.

ضرر الاستقلال بالكتاب والسنة دون فهم الصحابة

قديمًا تفرَّق المسلمون إلى فِرَق كثيرة: تسمعون بالمعتزلة، تسمعون بالمرجئة، تسمعون بالخوارج، تسمعون بالزيدية، فضلاً عن الشيعة والرافضة، وهكذا، ما في هؤلاء طائفة- مهما كانت عريقةً في الضلال- لا يشتركون مع سائر المسلمين في قولهم: نحن على الكتاب والسنة، ما أحد منهم يقول: نحن لا نتبنى الكتاب والسنة، وإلا لو قال أحد منهم هذا: خرج من الإسلام بالكلية، إذن؛ لماذا هذا التفريق ما دام أنهم جميعًا يعتمدون على الكتاب والسنة؟ وأنا أشهد أنهم يعتمدون على الكتاب والسنة، ولكن كيف كان هذا الاعتماد؟ دون الاعتماد على الأصل: (على ما كان عليه السلف الصالح)، مع ضميمة أخرى لا بد أيضًا من التنبيه عليها، وهي أن السنة تختلف كل الاختلاف عن القرآن الكريم، من حيث إن القرآن الكريم محفوظ بين دفتي المصحف كما هو معلوم لدى الجميع، أما السنة فهي:

أولاً: موزعة في مئات الكتب- إن لم أقل: ألوف الكتب-، منها قسم كبير جد، لا يزال في عالم الغيب، في عالم المخطوطات، ثم حتى هذه الكتب المطبوعة

يجب الاعتماد في فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه السلف الصالح، وليس أن يستقل الإنسان بفهم الكتاب والسنة كيفما بدا لعلمه- إن لم نقل لجهله-، لكن لا بد أن نُبيّن أهمية هذا القيد (على منهج السلف الصالح).

منها اليوم فيها الصحيح وفيها الضعيف، فالذين يعتمدون على السنة، سواء كانوا ممَّن ينتمون إلى أهل السنة والجماعة وعلى منهج السلف الصالح، أو كانوا من الفِرَق الأخرى، كثير من هؤلاء لا يميزون السنة الصحيحة من الضعيفة، فيقعون في مخالفة الكتاب والسنة؛ بسبب اعتمادهم على أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

الشاهد: هناك بعض الفِرَق التي أشرنا إليها تُنكر بعض الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية قديمًا وأيضًا حديثًا، القرآن الكريم يُثبت ويبشر المؤمنين بنعمة عظيمة جدًا يحظون بها يوم يلقون الله عز وجل في جنة النعيم، حيث يتجلى رب العالمين عليهم فيرونه، هذا عليه نصوص من القرآن وعشرات النصوص من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف أنكر هذه النعمة بعض الفِرَق القديمة والحديثة؟!

أما القديمة: فهم المعتزلة فأولئك المعتزلة أنكروا هذه النعمة، وقالوا بعقولهم الضعيفة، قالوا: مستحيل أن يُرى الله عز وجل، فماذا فعلوا؟ هل أنكروا القرآن؟ الله يقول في القرآن الكريم: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» [القيامة: ٢٢، ٢٣]، هل أنكروا هذه الآية؟ لا، لو أنكروها لكفروا وارتدوا، لكن إلى اليوم أهل السنة حقًا يحكمون على المعتزلة بالضلال، لكن لا يُخرجونهم من دائرة الإسلام، لأنهم ما أنكروا هذه الآية، وإنما أنكروا معناها الحق الذي جاء بيانه في السنة كما سنذكر، فالله

عز وجل حين قال في حق المؤمنين: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» [القيامة:٢٣]، تاولوها، آمنوا بها لفظا، وكفروا بها معنى، والألفاظ -كما يقول العلماء- هي قوالب المعاني، فإذا آمنا باللفظ وكفرنا بالمعنى فهذا الإيمان لا يُسمن ولا يغني من جوع، لكن لماذا هؤلاء أنكروا هذه الرؤية؟ ضاقت عقولهم أن يتصوروا؛ وأن يتخيلوا أن هذا العبد المخلوق العاجز بإمكانه أن يرى الله عز وجل فاضطروا أن يتلاعبوا بالنص القرآني، وأن يؤولوه، لماذا؟ لأن إيمانهم بالغيب ضعيف، وإيمانهم بعقولهم أقوى من إيمانهم بالغيب، ولذلك جحدوا كثيرًا من الحقائق الشرعية، كالآية الأخرى، وهي قد تكون أخفى بالنسبة لأولئك الناس من الآية الأولى، وهي قوله عز وجل: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» [يونس:٢٦].

«لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا»، أي: الجنة، «وَزِيَادَةٌ»، أي: رؤية الله في الآخرة، هكذا جاء الحديث في صحيح مسلم بسنده الصحيح.

عن سعيد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للذين أحسنوا الحسنى»: قال صلى الله عليه وسلم: «الجنة»، «وزيادة»: رؤية الله [صحيح مسلم: ١٨١].

أنكر المعتزلة وكذلك الشيعة- والشيعة معتزلة في العقيدة- أنكروا رؤية الله المصرَّح في الآية الأولى، والمبيَّن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى، مع تواتر الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأوقعهم تأويلهم للقرآن في إنكار الأحاديث الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فخرجوا عن أن يكونوا من الفرقة الناجية: «ما أنا عليه وأصحابي».

الرسول صلى الله عليه وسلم كان على الإيمان بأنَّ المؤمنين يرون ربهم، لأنه جاء في الصحيحين من أحاديث جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، منهم: أبو سعيد الخدري، منهم: أنس بن مالك، خارج الصحيح أبو بكر الصديق، وهكذا، قال عليه الصلاة والسلام: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته». [البخاري: ٥٥٤، ومسلم: ٦٣٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما].

روايتان: «لا تضامون» بالتخفيف، و«لا تضامُّون» بالتشديد.

والمقصود: لا تشكون في رؤيته كما لا تشكون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، أنكروا هذه الأحاديث بعقولهم، إذن هم ما سلموا وما آمنوا، فكانوا ضعيفي الإيمان، هذا مثال مما وقع فيه بعض الفرق قديمًا، الآن نأتيكم بمثال حديث: القاديانيون، ربما سمعتم بهم، هؤلاء يقولون كما نقول نحن: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، يصلون الصلوات الخمس، يقيمون الجمعة، يحجون إلى بيت الله الحرام، ويعتمرون، لا فرق بيننا وبينهم هم كمسلمين، لكنهم يخالفوننا في كثير من العقائد، منها- وهنا الشاهد- قولهم: بأن النبوة لم تُغْلَق بابُها، يقولون بانه سياتي أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ويزعمون بانه جاء أحد منهم في قاديان في بلدة في الهند، فمن لم يؤمن بهذا النبي عندهم فهو كافر، كيف قالوا هذا مع الآية الصريحة: «وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» [الأحزاب:٤٠]؟ وكيف قالوا هذا مع الأحاديث المتواترة بانه «لا نبي بعدي»؟ فأوَّلوا القرآن والسنة، وما فسَّروا القرآن والسنة كما فسرها السلف الصالح، وتتابع أيضًا المسلمون على ذلك، دون خلاف بينهم حتى جاء هذا الزائغ الضال المسمى بـ «ميراز غلام أحمد القادياني»، فزعم بأنه نبي، وله قصة طويلة لسنا الآن في صددها، فاغتر به كثير ممن لا علم عندهم بهذه الحقائق، التي هي صيانة للمسلم من أن ينحرف يمينًا ويسارًا كما انحرف القاديانيون هؤلاء مع دجَّالهم هذا الذي ادعى النبوة، ماذا فعل بالآية: «وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» [الأحزاب:٤٠]؟ قال: «وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» [الأحزاب:٤٠]: ليس معناه: لا نبي بعده، معناه: زينة النبيين، كما أن الخاتم هو زينة الإصبع، كذلك محمد زينة الأنبياء، إذن هم ما كفروا بالآية، ما قالوا: هذا ما أنزلها الله على قلب محمد، لكن كفروا بمعناها الحقيقي، إذن ماذا يفيد الإيمان بالألفاظ دون الإيمان بحقائق المعاني؟!

إذا كانت هذه حقيقة لا شك فيها، ما هو الطريق للوصول إلى معرفة حقائق المعاني للكتاب والسنة؟

قد عرفتم الطريق، ليس هو أن نعتمد على علمنا باللغة وآدابها، ونفسّر القرآن والسنة بأهوائنا أو عاداتنا أو تقاليدنا أو مذاهبنا أو طرقنا، لعل في هذا ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

والحمد لله رب العالمين.

أمراض القلوب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد: يتعرض القلب إلى الفتن بصورة دائمة ومتتابعة كعرض الحصير عوداً عوداً، فإذا تفاعل مع هذه الفتن وتشربها تغير لونه، وأصابه المرض المؤذن بالهلاك.



د/جمال المراكبي



أخرجَ مُسلم في كتاب الإيمان من حديث حُذيفة بن اليمان رَضي الله تعالى عنه: قال: قَالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «تُعرضُ الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نُكت فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف مَعروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» [صحيح مسلم: ١٤٤].

والفتن التي تصيب القلب نوعان: شبهات وشهوات.

أولاً: فتن الشبهات:

في زمن يفشو فيه الإلحاد، ولا يعترف بعضهم إلا بالمادة والمحسوسات يثير الكثيرون من المتشككين الشبهات التي تتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهي شبهات يلقيها الشيطان في قلوب خاوية من الإيمان واليقين من قديم الزمان، وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن أصول هذه الشبهات التي ضل بها كثير من الناس، محذرًا إيانا من همزات الشيطان، وسقطات بعض بني الإنسان الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، «وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا» [النساء: ٣٨].

قال الله تعالى: «وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣].

وقال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٦٨- ١٦٩].

وقال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [النور ٢١].

وهذه الشبهات كثيرة لا أبلغ إن قلت لا أستطيع أن أحصيها أو على الأقل لا أحصيها في هذا المقام فمنها ما يتعلق بالله تعالى مباشرة ومنها ما يتعلق بالملائكة و ما يتعلق بالكتب السماوية وما يتعلق برسل الله وما يتعلق باليوم الآخر وما يتعلق بالقدر وكلها

من أركان الإيمان ومنها ما يتفرع على هذه الأركان ، فالشيطان لا يدخر جهدا في إضلاله وأمر الناس أن يقولوا على الله مالا يعلمون وهذه بعض نماذج من شبهات هؤلاء :

أولا: ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل ، ومن ذلك:

١- الشك في الله تعالى وتكذيب المرسلين:

قال الله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» [إبراهيم: ٩- ١٠].

ذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار صرحوا للرسل بأنهم كافرون بهم، وأنهم شاكون فيما جاءوهم به من الوحي، وقد نص تبارك وتعالى على بعضهم بالتعيين أنهم صرحوا بالكفر به، وأنهم شاكون فيما يدعوهم إليه كقول قوم صالح له: «أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ» [هود: ٦٢].

٢- الشك في اليوم الآخر والبعث بعد الموت:

قال الله تعالى: «قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [النمل: ٦٥- ٦٨].

قال الشنقيطي في أضواء البيان عند قوله تعالى: « بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ » [النمل: ٦٦]، قال: أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: بل ادارك علمهم: أي تكامل علمهم في الآخرة، حين يعاينونها أي: يعلمون في الآخرة علماً كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: «بَلِ ادارك عِلْمُهُمْ فِي الآخرة بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ» أي: في دار الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علماً كاملاً لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه من البعث، والجزاء . [أضواء البيان: ٦/ ١٢٣].

٣- دعواهم أن شركهم إنما وقع بأمر الله، وأنهم ما كانوا مشركين:

قال الله تعالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» [الأنعام: ٢٢- ٢٤].

قال السعدي في تفسيره: يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة، وأنهم يُسألون ويُوَبَّخُون فيُقال لهم «أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أي: إن الله ليس له شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء. «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ» أي: لم يكن جوابهم حين يُفتنون ويُختبرون بذلك السؤال إلا إنكارهم لشركهم، وحلفهم أنهم ما كانوا مشركين. «انْظُرْ» متعجبًا منهم ومن أحوالهم «كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» أي: كذبوا كذبًا عاد بالخسار على أنفسهم، وضرهم غاية الضرر «وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. [تفسير السعدي، ص ٢٥٣].

وقال الله تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ

في زمن يفشو فيه الإلحاد، ولا يعترف بعضهم إلا بالمادة والمحسوسات يثير الكثيرون من المتشككين الشبهات التي تتعلق بالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وهي شبهات يلقيها الشيطان في قلوب خاوية من الإيمان واليقين من قديم الزمان.

مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ» [الأنعام: ١٤٨- ١٤٩].

هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ» [النحل: ٣٥].

ولو كانت حجة صحيحة، لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب؛ لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعُلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، وذلك لأسباب:

منها: ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة، لم تحلّ بهم العقوبة.

ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي لا يغني من الحق شيئًا، فإنها باطلة، ولهذا قال: «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا» فلو كان لهم علم- وهم خصومُ ألداءُ- لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم. «إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إلا تَخْرُصُونَ» ومَنْ بنَى حجَجه على الخَرْص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد؟!

ومنها: أن الحجة البالغة هي التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل؛ لأن نقيض الحق لا يكون إلا باطلا.

ومنها: أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كُلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا

الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كُلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف.

ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعًا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجًا تحت إرادته.

ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك؛ فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب.

فيا عجبًا كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه ، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟!»

ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ. اهـ [ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٧٨].

ولقد حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من

وساوس الشيطان وتلاعبه بالإنسان فقال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟! فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ» [صحيح مسلم: ١٣٤].

وهنا قد يصل الحال بالإنسان أن يُصاب بحالة من الوسواس القهري المَرَضي لا يستطيع له دفعًا إلا بمعونة من الله أولا، ثم بالعلاج ثانيًا، ولهؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» [صحيح البخاري ٥٢٦٩].

وعن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريح الإيمان» [صحيح مسلم: ١٣٢].

ثانيا: ما يتعلق ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ قَالَ: «اللَّهُ». قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ «اللَّهُ». قَالَ فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ». قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً؟ قَالَ «صَدَقَ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لاَ أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُنَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» [صحيح مسلم ١٢]. قلت : ومع أن هذا الرجل قد جاء شاكا في بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به إلا أنه قد هدى بعد لقائه بالنبي وسؤاله.

> الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته.

قال البيهقي- رحمه الله-: فهذا السائل كان قد سمع بمعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت مستفيضة في زمانه، ولعله أيضًا ما كان يتلوه من القرآن فاقتصر في إثبات الخالق ومعرفة خلقه على سؤاله وجوابه عنه، وقد طالبه بعض مَن لم يقف على معجزاته بأن يريه من آياته ما يدل على صدقه، فلما أراه ووقفه عليه آمن به وصدقه فيما جاء به من عند الله عز وجل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ. [سنن الترمذي ٣٦٢٨ وصححه الألباني].

أما عن الكلام عن فتن الشهوات ففي لقاء آخر إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

فتاوى المركز العام



أحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم في قبره

س: يسأل السائل أسامة الراوي من مدينة «أبو حماد شرقية» يقول:

هل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته...» صحيح، وكيف يسمع النبي صلى الله عليه وسلم خصوصًا، والأموات عموما وهم في قبورهم؟

الجواب: الأموات في قبورهم لا يسمعون دعاء الأحياء ونداءهم؛ لقول الله تعالى: «وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» [فاطر:٢٢].

والذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه صاحبه الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني». [أخرجه أبو داود ح٢٠٤٢، وصححه الألباني].

وفي مصنف عبد الرزاق من حديث سهيل أن الحسن بن علي رأى قومًا عند القبر فنهاهم وقال: إن النبي قال: «لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني». وكذلك ثبت عن علي بن الحسين بن علي أن رجلاً كان يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وذكر الحديث قريبًا من الحديث السابق.

وببلوغ الصلاة والتسليم إلى النبي في قبره من جميع الناس حيثما كانوا؛ عند القبر أو بالأندلس، يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام على من صلى وسلم عليه، كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يُسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام». [أخرجه أبو داود ح٢٠٤١، وحسنه الألباني].

والحديث دال على أنه يسمع السلام ممن يسلم عليه؛ لما ظهر في النص أن روحه تُرَد إليه صلى الله عليه وسلم ليرد السلام، هذا هو الظاهر، ولو فُرض سماعه السلام، فإن سماعه للدعاء والنداء وغير ذلك لا دليل عليه.

أما حديث: «من صلى عليَّ عند قبري». فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنه حديث موضوع بإجماعهم. [الفتاوى: ٢٧/٢٤١].

وكذلك سائر الأموات معزولون عن الأحياء، لا يسمعونهم، ولا يعرفون شيئًا عن أخبارهم إلا ما ورد فيه النص كسماعه قرع النعال وأصحاب القليب، وهذا السمعُ خاص بتلك الساعة؛ لأنه تعاد روحه إليه من أجل الحساب، وينتهي السماع بعد ذلك، لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حُضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الرِيح التي جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين، فلَهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دَعُوهُ فإنه كان في غمّ الدنيا. فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمه الهاوية». [سنن النسائي ح١٨٣٣، وصححه الألباني].

وننصح السائل بقراءة رسالة «الآيات البينات في عدم سماع الأموات» للآلوسي. تحقيق الألباني.

ويسأل سؤالاً ثانيًا: هل صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الخوارج: إنهم كلاب النار؟

الجواب: الخوارج هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمّا قام بتحكيم الرجلين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص في الفتنة بينه وبين معاوية رضي الله عن الجميع، و«السبب الذي سُموا له خوارج: خروجهم على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله». [مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٢٠٧/١].



وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «الخوارج خصماء علي بن أبي طالب، وقد قاتلهم وقتل منهم جمعًا غفيرًا، وقد كفروه واستحلوا دمه رضي الله عنه حتى قتله ابن ملجم وهو منهم.

والخوارج طائفة خبيثة يُكفرون المسلم بالمعصية، ويرون خلود العصاة من المسلمين في النار لا يخرجون منها كالكفار، وقد حذر

منهم الرسول صلى الله عليه وسلم». [فتاوى ابن باز].
وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه لما رأى رءوسهم منصوبة على درج دمشق، قال: «كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتلى من قتلوه». [الترمذي ح٣٠٠٠، وحسنه الألباني].
وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخوارج كلاب النار». [سنن ابن ماجه ح١٧٣، وصححه الألباني].
وفي كتاب السنة لأبي عبيد الله بن أحمد بن حنبل رحمهم الله أن سعيد بن جهمان قال: «كانت الخوارج تدعوني حتى كِدْتُ أن أدخل معهم، فرأت أخت أبي بلال في النوم أن أبا بلال كلب أهلب أسود عيناه تذرفان، فقالت له: بأبي أنت يا أبا بلال؛ ما شأنك أراك هكذا؟ قال: جُعلنا بعدكم كلاب النار، وكان أبو بلال من رءوس الخوارج». [ح١٥٠٩].
ومع هذا فلما سُئل عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هل الخوارج كفار؟ فقال: من الكفر فروا.

مواريث

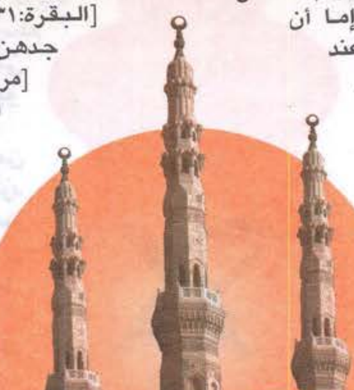
س٣: تسأل إحدى الزوجات أنها ساعدت زوجها في بناء مسكنهم، وشاركت بقريب من نصف التكلفة، وسألته أن يكتب لها حقها في ورقة، ولكنه كان يرفض، ويقول لها: إن أموالنا كلها لأولادنا. ومات زوجها ولم يكتب شيئًا وهي حزينة لهذا الأمر، فماذا تصنع؟

الجواب: على الزوج إذا كان في ذمته لزوجته أي مال أو أملاك أن يكتب لها حقها، ليصون لها أموالها، ويحفظ ذلك في وصية موثقة يضعها عند الثقات؛ حتى إذا عاجلته المنية لا يكون عُرضة لضياع حقوقها، وعلى الورثة حينئذٍ إذا وثقوا في كلام الزوجة أن يسددوا لها حقها كدينٍ مثل سائر الديون؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر قبلٍ توزيع التركة على الورثة أن يُنظر في الوصايا أولاً والديون فتؤدى لأصحابها، وهذه الزوجة أحق بمالها إن ثبت لها ذلك.
وإذا لم يستجب الورثة لكلامها ولم تستطع هي إثباتها حقها فهي مخيرة إما أن تعفو عنه وتسامحه وأجرها عند الله وعليه، أو تكل الأمر إلى الله يوم الحساب لتأخذ حقها يوم القيامة، ونحن ننصح هؤلاء الورثة برعايةِ حق هذه الزوجة، صيانةً لها ولزوجها الميت، وننصحها هي أيضًا بالعفو عن زوجها خاصة إذا علمت أنه لم يتعمد تضييع حقها، والله المستعان.

التطليق على الأوراق دون التلفظ

يسأل سائل فيقول: رجل طلق زوجته رسميًا لكي يأخذ معاش والدها؛ لأنها مريضة وردُها عرفيًا، فهل هذا المعاش حرام أم حلال؟

الجواب: الزواج رباط مقدس وميثاق غليظ لا يحل التلاعب به أبدًا، ولا الطلاق كذلك، وكثير من الناس يقعون في هذا المنكر العظيم وهو التساهل والتلاعب في أمر الزواج والطلاق، فالبعض يتزوج على الأوراق فقط لاستخراج هوية، والحصول على عمل، وآخرون يطلقون على الورق لتحسب الزوجة أمام الجهات الرسمية أنها مطلقة فيعتمدون لها راتبًا شهريًا.
والحقيقة أن هذا السؤال يشتمل على عدة مسائل فرعية:
- أنه اشتمل على نوع من الكذب على الجهات الرسمية وهو غير جائز فقد ثبت جمع من الأحاديث في الترهيب من الكذب كما في الحديث المتفق عليه: إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.
أنه اشتمل على أخذ مال بغير حق فقد وضعت الجهات الرسمية ضوابط للحصول على هذا المعاش ، وفي هذا التصرف احتيال على هذه الضوابط كما هو واضح .
- أنه وإن اختلف العلماء في هذه الصورة من صور الطلاق التي هي على الورق واشتراط بعضهم النية في ذلك إلا إن بعضهم قال بوقوعه، ونحن نرى أن كل هذا استهزاء بشعائر الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق، والنكاح، والرجعة». رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع. وروى الحسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «ثلاث لا يُلعب بهن: النكاح، والطلاق، والعتاق». رواه ابن أبي شيبة في المصنف وإسناده صحيح إلى الحسن. قاله الألباني.
وعن الحسن البصري أيضًا رحمه الله قال: «كان الرجل في الجاهلية يطلق فيقول: كنت لاعبًا، ويعتق ثم يراجع ويقول: كنت لاعبًا، وأنزل الله: «وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا» [البقرة:٢٣١]، فقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث جدهن جد» فالحديث إبطال لأمر الجاهلية. [مرسل صحيح الإسناد إلى الحسن- مصنف ابن أبي شيبة].
وعليه فإننا نذكر أنفسنا والسائل الكريم قائلين: اتق الله واصبر وإياك والشبهات والحرام فلا تبع دينك ولو في شبهة من أجل حفنة من تراب هذه الدنيا ولا تَنْس أن موعدنا يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.
. وبالله التوفيق.



فتاوى

فتاوى الأزهر ولجنة الإفتاء

س: ما الأيام التي نُهينا عن الصيام فيها؟

هناك أيام نُهينا عن الصيام فيها وقد يكون النهي للتحريم، وقد يكون للكراهة، وإذا كان للتحريم فالصوم باطل، وإذا كان للكراهة؛ فالصوم صحيح.

وهذه الأيام هي: الأول، والثاني: صوم يوم العيد الأصغر ويوم العيد الأكبر، وذلك بإجماع العلماء.

وقد روى أحمد وأصحاب السنن أن عمر (رضي الله عنه) قال: «إن رسول (صلى الله عليه وسلم) نهى عن صيام هذين اليومين، أما يوم الفطر ففطركم من صيامكم، وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم» أي: الأضاحي.

والثالث والرابع والخامس أيام التشريق؛ الثلاثة التي بعد يوم عيد الأضحى، لحديث أحمد عن أبي هريرة بإسناد جيد أن «النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث عبد الله بن حذافة يطوف بمنى ألا تصوموا هذه الأيام، فإنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل» وروى مثله الطبراني عن ابن عباس.

والإمام الشافعي: أجاز صيام هذه الأيام، وهي أيام التشريق لسببٍ كالنذر أو الكفارة أو القضاء.

السادس: صومُ يوم الشك وهو: يوم الثلاثين من شعبان، لحديث حسن صحيح رواه الترمذي: «من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم، إلا أن يكون عادة له».

السابع: صوم يوم الجمعة منفردًا؛ والجمهور على أن النهي عن صومه وحده نهي كراهة، فإذا سبقه يوم أو جاء بعده يوم وهو صائم، فلا تحريم ولا كراهة في هذا الصيام، وكذلك إذا وافق عادة له، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء.

والدليل على ذلك حديث رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد أن: «رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخل على جويرية بنت الحارث وهي صائمة يوم جمعة، فقال لها: أصمتي أمس؟ فقالت: لا. قال: أتريدين أن تصومي غدًا؟ قالت: لا. قال: فأفطري إذاً».

وحديث الصحيحين: «لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم».

وفى لفظ لمسلم: «ولا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم».

الثامن: صوم يوم السبت منفردًا؛ لحديث رواه أحمد وأصحاب السنن، وحسنه الترمذي: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنب أو عود شجرة فليمضغه» يعني: فليفطر.

قال بكراهة صومه وحده الأحناف والشافعية والحنابلة، وجوَّز صيامه مالك وحده.

ولا كراهة في صوم يوم السبت إذا وافق عادة أو كان يوم عرفة أو عاشوراء أو كان قضاء أو نذرًا.

وكما نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن صيام هذه الأيام، نهى عن صيام الدهر كله بما فيها الأيام التي نهى الشارع عن صيامها، كيومي العيد وأيام التشريق.

والدليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): «لا صام من صام الأبد» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

فمن أفطر في هذه الأيام فقد خرج من حد الكراهة، هكذا روي عن مالك والشافعي وأحمد، والأفضل أن يصوم يومًا ويفطر يومًا.

ونهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) الزوجة أن تصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه، لحديث رواه البخاري ومسلم: «لا تصم المرأة يومًا واحدًا وزوجها شاهد إلا بإذنه إلا رمضان».

والنهي للتحريم، ولو صامت جاز للزوج أن يفسد صومها، وهذا في غير رمضان، ولو كان الزوج غائبًا، فلها أن

تصوم بغير إذنه، وكذلك لو كان مريضًا عاجزًا في هذه الناحية، فلا داعي لإذنه في الصيام.

وقد نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن وصال الصوم أي: لا يفطر عند الغروب، ويستمر صائمًا طول الليل حتى يصله باليوم الثاني.

روى البخاري ومسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إياكم والوصال». قالها ثلاث مرات. قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله: قال: «إنكم لستم في ذلك مثلي؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، خذوا من الأعمال ما تطيقون».

وفي رواية للبخاري: «لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر».

والله أعلم. [انتهى من فتاوى الشيخ عطية صقر رحمه الله].

سؤال: هل يجوز التنفل ممن عليه فوائت؟

الجواب: يجوز لمن عليه فوائت أن يتنفل ولا يكره منه ذلك.

التفصيل: اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بانه نقل الطحاوي في حاشيته على الدر وابن عابدين في رد المحتار عن المضمرات ما نصه (الاشتغال بقضاء الفوائت أولى وأهم من النوافل إلا سنن المفروضة وصلاة الضحى وصلاة التسبيح والصلوات التي رُويت فيها الأخبار- انتهى- .

قال ابن عابدين كتحية المسجد والأربع قبل العصر والست بعد المغرب- انتهى-

ومن هذا يعلم جواز أداء السنن وصلاة العيدين وصلاة الجنائز والتراويح ممن عليه فوائت.

وأنه ليس فعل شيء من ذلك محرما عليه ولا مكروها لمجرد أن عليه فوائت. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المفتي:عبد المجيد سليم في رجب ١٣٤٧ هجرية ديسمبر ١٩٢٨ م)

س- صلاة المرأة وطهارتها

أولا إذا نوت المرأة الصلاة وكانت لا تلبس شرابا، وكان فستانها بعد الركبة بقليل، فهل تجوز لها هذه الصلاة أم تكون باطلة- ثانيا أسفة جدا يا سيدي لهذا السؤال- فإن الله لا يستحي من الحق- : إذا احتلمت السيدة فهل تكون نجسة ولا بد من أنها تغتسل أم يكفي الوضوء- ثالثا- إذا كانت السيدة نجسة أيّ نجاسة كانت واضطرت للمس المصحف فهل هذا حرام وهل تعاقب عليه- رابعا- إذا قرأت في المصحف بدون أن تضع على رأسها غطاء وبدون وضوء حرام أو مكروه أم لا- خامسا- إذا قرأت أي سورة من القرآن وختمت في أي آية.

فهل يجوز أم لا بد من ختم السورة بأجمعها؟

الجواب:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

اطلعنا على هذه الأسئلة ونفيد أولا- أنه لا يجوز صلاة المرأة مع كشف ساقها؛ لأن ساق المرأة من العورة وستر العورة شرط في الصلاة، فكشفه أو كشف مقدار ربعه مفسد للصلاة ومانع من صحتها.

ثانيا- لو احتلمت ورأت الماء صارت جنبا ووجب عليها الغسل ولا يكفي في ذلك الوضوء؛ لما في صحيح البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى النبي صلى الله عليه وسم فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق. هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال: نعم إذا رأت الماء، والمراد برؤية الماء في الحديث الشريف مطلق العلم بنزول الماء سواء كان عن رؤية أو عن غير رؤية.

هذا والاحتلام ليس بمفطر.

ثالثا- إذا كانت المرأة جنبًا أو حائضا أو نفساء أو غير متطهرة منهما بعد انقطاعهما عنها أو كانت محدثة حدثا أصغر يحرم عليها مس المصحف إلا لضرورة.

كأن تخاف حرقا أو غرقا. نعم يجوز أن تمس المصحف بحائل منفصل عنه ككيس وصندوق ونحوه.

رابعا- أنه للمحدثة حدثا أصغر قراءة القرآن، وإن حرم مسها للمصحف.

كما قلنا. كما يجوز لها قراءة القرآن مع كشف رأسها بلا كراهة.

خامسا- إن قراءة القرآن عبادة يثاب عليها القارئ وإن لم يتم السورة. (المفتي: الشيخ عبد المجيد سليم رمضان ١٣٦١ هجرية سبتمبر ١٩٤٢ م).



سارع أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٨ سنة من المجلة.

- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي.

.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.

مفاجأة سارة

الآن



موسوعة التوحيد

ببلاش

- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، اثنان وأربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيه بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزَكًّى من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير و صفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشتركين .

ومفاجأة أخرى
المجلد الجديد لعام ١٤٣٤ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيها فقط



23936517